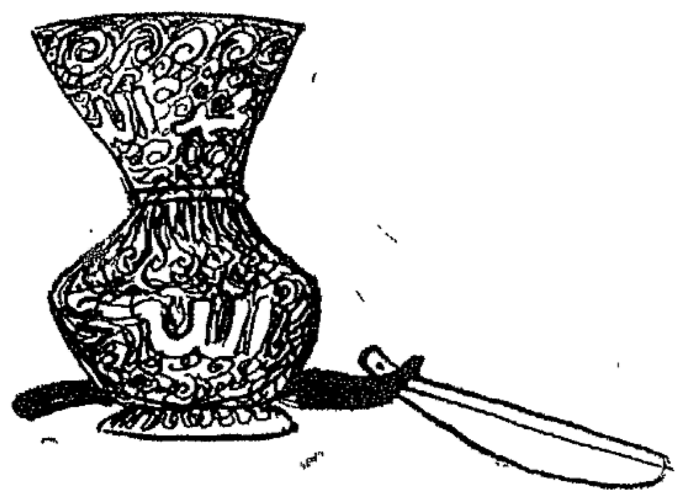
# حلاق بغداد

كوميديا خيالية فى حكايتين

يوسف وياسمينه　　　　زينة النساء

الفريد فرج



ملتزم التوزيع
دار النهضة العربية
٣٢ شارع عبد الخالق ثروت

# حلاق بغداد

كوميديا خيالية في حكايتين

- يوسف وياسمينة
- زينة النساء

ألفريد فرج



# إهـــــداء

إلى زهرة بيتي، أهدي هذه
المسرحية، مع تقديري ومحبتي

الفريد

الغلاف والرسوم

بريشة الفنان حسن فؤاد

# يولف وياسمينة



## شخصيات المسرحية

| | |
|---|---|
| يوسف | عاشق موصلي فى الثامنة عشرة |
| شفيقة | جارية ياسمينة |
| أبو الفضول | الحلاق . متوسط العمر |
| ياسمينة | بنت قاضى بغداد.معشوقة يوسف |
| الخليفة | |
| الوزير | |
| قاضى بغداد | |
| السياف مسرور | |

المكان : . . بغداد الخيالية

الزمان : . . القرن الخامس أو السادس الهجرى أو كما تشاء . .

المنظـــر : بهو دار عربية متوسطة ، هى جناح فى الطابق العلوى . الباب فى الصدر فوقه عقد مزخرف وإلى جانبيه شبا كان بمشربيتين مغلقين ، يتسلل من فتحاتهما الكثيرة الصغيرة ضوء النهار الوحيد الذى ينير المسرح . وتحت كل من الشبا كين كرسى بعرض الشباك قماشه حسن . فى داخل الحائط الأيمن دولاب ضلفتاه مرآتان عاليتان ، يليه فى مستوى أكثر انخفاضا نتوء فى الحائط كالرف يزينه عقد صغير من فوق ، وجزء منه منحوت داخل الحائط وعليه ابريق نحاسى جميل به زهور . وتحت الرف طست وابريق ماء على قاعدة . ويلى الرف فجوة صغيرة فى الحائط منخفضة يبرز منها صندوق عربى مزين بالنقوش مما يستخدم لمتاع السفر يغلقه سيخ طويل يبيت فى سقاطة ، وأمامه ساتر ( باراڤان ) من أربع ضلف . أما الحائط

الأيسر ففيه فتحة باب مفضى إلى غرفة نوم يمكن أن يبدو منها طرف سرير منخفض ومفروش فرشا ثريا ، إلا إذا سحبت الستارة فأغلقت الباب تماما. ويلى الفتحة صينية عربية نحاسية كبيرة حولهـــا كرسيان وفوقها أبريق وكأسان نحسيتان ومسرجة على رف صغير .

الجو معتم يضطر الداخل من الباب أن يتوقف لحظة حتى تعتاد عيناه درجة الضوء فى الغرفة ، رغم أننا صباح يوم جمعة من أيام بغداد الخيالية .

. . فى المسرح يقف يوسف وحيدا مواجها العالم ـــ أيا كان الاتجاه الذى يرى المخرج أنه محقق لذلك ـ شاب فى الثامنة عشرة من عمره وأن كان ملبسه يوهمك أنه أكبر من ذلك سنا بكثير ، أقرب بنحافته وعصبيته للمراهق فى سن الرومانسية. وهو يحدثنا بلسانه بلهجة المعترف وبروح الذى يكتب للعالم مذكرة أخيرة ، وفى صوته رنة شجن لا تفارقه أبدا ، وميل كوميدى إلى المبالغة الدرامية فى انفعاله ، وفى استجابته لمثيرات العالم الخارجى .



يوسف : أنا يوسف الموصلى ابن شبندر تجار الموصل ، ولى قصة لو كتبت بالإبر على آماق البصر صارت عبرة لمن يعتبر . لما رأى أبى أنى شببت عن الطوق أراد أن يدربنى على التجارة والسفر فأوفدنى إلى بغداد مع رسالة من أثواب الموصلين ، فلما أتيت سوق المدينة العظيمة — لأول مرة مغتربا فى حياتى — سألت عن دكانة الشيخ عيسى كبير تجار الأقمشة كما كان أبى قد أوصانى ، فرحب بى الشيخ وسقانى شربات الورد وأجلسنى إلى جانبه ، وصار يحدثنى ويسألنى عن أبى وينفعنى بنصائحه. فبينما نحن نتجاذب الحديث

إذ وقع بصرى على وجه ما رأيت فى حياتى أجمل منه، وسمعت صوتا ما رن فى أذنى أعذب منه . وقام الشيخ من فوره هو وصبيانه ، وأخذوا يتنقلون بين يدى زبونته ، وهى تقلب الأثواب . وقع فى قلبى حبها ، وغشى على لحظة لم ينتبه لى فيها أحد . ولما أفقت كانت لا تزال واقفة هناك كأن الله قد علق لى فى جبينها درة يتيمة سحرتنى .

وما أن ذهبت حتى لاحظ الشيخ عيسى ما أنا فيه من هم ، فسألنى فأجبته ، فاغتم لذلك واصفر وجهه وقال لى « شفاك الله يا بنى يايوسف . نصيحتى لك أن ترحل فى الحال ، فهذه ياسمينة بنت قاضى بغداد ، ولا سبيل لك إليها أبدا ، فإن أباها رجل فظ له طباع وحشية ، وقد أعد ابنته ليزوجها الوزير تقربا وزلفى ، ولا حول ولا قوة إلا بالله »

قمت من فورى أترنح كالمخمور . وتبعتها كالمجذوب لا أحول نظرى عنها .

فلما طالت السكة لاحظت ياسمينة أنى أتبعها

كظالمها ، فأرسلت جاريتها تسألنى ، فبثثتهـا همى .
وأخـــذت الجارية تجرى بينى وبينها بالرسائل.
والأشواق المستحيلة طيلة شهر عشته فى هذه الدار.
متخفيا حذرا .

أضنانا الشوق وطول السهر ، فاتفق رأينا على
أنه لا حياة لنا فى هذا العالم .

العشاق يموتون جيلا بعد جيل فى مثل هذه.
القصة، لا تنفعهم دموع الصبايا أو حوقلة المتحذلقين ..
لقد قررنا أن نموت معا ! .

أعددت السم الزعاف فى الشربات المسكر هنا
( مشيراً للأبريق فوق الصينية ) واليوم هو الميعاد ،
وكل شىء جاهز . ( طرق على الباب ، مفاجىء ومتلاحق.
يتقزز ويردد بصوت مبحوح ) آه ! صوت فظيع !
شىء مزعج ! من ؟ .

صوت : (من الخارج ، حاد رغم محاولة صاحبته أن تكتم جلجلته )
أنا شفيقة . جاريتك شفيقة . افتح الله يفتح لك باب
المنى يارب .

يوسف : ( يفتح الباب ) ش . صه . الناس تسمعك .

شفيقة : ( سمينة ، ولكنها خفيفة الحركة جداً ، تتزاحم الكلمات فى فمها إذا انفعلت حتى لتعجب كيف يسعه كل هذا الحشد من الأصوات . وجهها يعكس بفصاحة ووضوح ما ينفعل به قلبها ، وما أكثر ما يتقلب فى قلبها من مشاعر متلاحقة ومتناقضة أحياناً ، سرعان ما تقطب بعد انشراح وتغتم بعد فرح ويدها تمتد قبل أن ينطق لسانها ، فهى تترجم أفكارها بيديها أسرع مما تترجمها بلسانها . تدخل البيت فى زيطة وفى فرح ، على نحو قد تتوهم به أن كثرة من الناس دخلت معاً قبل أن تتبين أن الباب لم يسلم إلى المسرح غير شفيقة جارية ياسمينة ) اليوم الجمعة والناس ملهية فى حالها . يا نهار أبيض يا شاب ! أين أنت ؟ ( تتوقف لحظة لتتبين معالم الغرفة ولكنها تصل الصياح لا تقطعه ) يا ألف نهار أبيض ياسى يوسف . يا يوم الهنا ! ( وقد تبينت طريقها للغرفة الداخلية ) ياسرير المنى ! ( يعترض يوسف طريقها فترتد ) يا شباك السعد ! ..

يوسف : لا تفتحى الشباك .

شفيقة : أراك ..

يوسف : الناس ترانا .

شفيقة : ( تبينت طريقها للأبريق فوق الصينيـــة ) يا شربات الياسمين !

يوسف : دعى الأبريق مكانه .

شفيقة : أذوقه . .

يوسف : ( نافد الصبر ) ليس هذا لك .

شفيقة : لمن ؟ لكما ؟ ( تضحك فى خبث ) هنيآ لك يا شاب . جهزت كل شيء ؟ أرنى الأمتعة ( تنطلق فى طريق الصندوق ) أرنى ما أعددت .

يوسف : أف ! لا أستطيع أن ألاحقك . كفى عن الصياح والتنطيط .

شفيقة : ( تخبط صدرها ) أكف ؟ ! يا سعدك يا شفيقة ! يا يوم مناك يا شفيقة . عرس سيدتك يا شفيقة ! عرسك ياشفيقة ! هناء حبيبتك ياشفيقة ! (تزغرد) .

يوسف : ( يجذبها من ذراعها بغلظة ) إخرسى .

شفيقة : (تنكمش مذعورة وإن كانت لهجتها معاتبة ) إسم الله عليك يا شاب . بنتى ! بنت سيدتى ! بنت الأكابر ! بنت قاضى بغداد ، وجليس الحكام ! ياسمينة التى أرضعتها ودعكتها بالفل والياسمين ، هننتها وهى صغيرة وصرت أمها بعد ما ماتت أمها . . حتى استدارت واحلوت وتفتح قلبها ( تغرورق عيناها ) الآن أودعها فراش هنائها ، وتريد أن تخرسنى ، لا أفرح ؟ !

يوسف : (ثائبا للموقف) أنا أكره أن أحـــزنك ، ولكننا لا نزال فى قمة الخطر ، ولو انكشف المستور ..

شفيقة : ياخرابى ! تف من فمك .

يوسف : لو بلغ أباها خبرنا ..

شفيقة : تف تف تف ! كفى الله الشر .

يوسف : ترتعدين لمجرد تصور ذلك .

شفيقة : أخافه كغول .

يوسف : ومع ذلك تصيحين وتزغردين وتكادى تنادى الجيران ليأتوا يتصايحون معك .

شفيقة : ربنا يتمم بخير يا شاب ، ويكتب لك السلامة .

يوسف : لقد أجرت هذه الدار لأمر خطير جداً . لم يسمع جار هنا دبة نملة . أدخل وأخرج بلحية زائفة واسم مستعار وعمامة كحجر الرحى وسبحة وزنها رطل .

شفيقة : هىء هىء هىء .

يوسف : ماذا يضحكك .

شفيقة : أتصورك بهذه الهيئة .

يوسف : أمر لا يضحك .

شفيقة : ما أحلى هذه الحكاية ، وما ألذ روايتها . كان سيدى يوسف يتنكر فى هيئة الدراويش خوفاً من أبيها ويأوى إلى دار مظلمة ككهف على بابا . هيء هيء .

يوسف : ( بحنق ) وتجيئين أنت بهذه الزيطة لتفسدى كل شيء . وأنت لا تعرفين حتى لماذا جئت هنا .

شفيقة : لا أعرف لماذا جئت هنا ؟ !

يوسف : ألم أحملك رسالة لسيدتك ؟ ألا تحملين إجابة على الرسالة ؟

شفيقة : آه طبعاً . أمال . إهيه ! اتفقنا على كل شيء . كل شيء جاهز . جهز نفسك أنت .

يوسف : متى تجىء ؟

شفيقة : رتبنا كل شيء بالضبط ( بصوت خافت ولهجة خطيرة ) سيخرج سيدى القاضى بعد ساعة ، قبل الصلاة بقليل ، ليذهب لقصر الخليفة فيرافق موكبه إلى المسجد . وما أن يخرج حتى تتسلل ياسمينة فى ثياب خادمة ، وأنا أرشدها ( يرتفع صوتها تدريجيا ) ثياب الخادمة من فوق فقط . أما تحتها فقد أعددت لها . .

يوسف : هل رآك أحد وأنت داخلة ؟

شفيقة : أنا ؟ قطع ؟ !

يوسف : أسمع ضوضاء فى الطريق .

شفيقة : اليوم الجمعة . لا تلق بالا . أنا محسوبتك . كما تحب. لا أحد يراني .. أنا عبيطة ؟ ! لقـــد جئت جرياً تملأني الفرحة . طاش صوابي .. فستان الخادمة من فوق فقط .. أما تحته فقد أعددت لها فستاناً أبيض كملاك .. وسراويل ! (تضحك في خبث) دهنتها من فرق لتحت بزيت الفل .. نوارة العرب .. ست البنات .. زينة لفراش وزير ..

يوسف : أف ! اسكتي .

شفيقة : (تستدرك) لكن بعينه وزير النحس .. برميل الزفت ! يشك في قلبه لا يعي ! أنا ؟ حبيبتي تهدر عمرها في تدفئة شيخوخة المنحوس ؟ !

يوسف : (متأذيا جانبا) كلمات رخيصة .

شفيقة : بنتي غالية !

يوسف : (يواجهها) هل تعلم وتفهم لماذا تجيء ؟

شفيقة : قالت لي : « فهميه أني عرفت ما يقصـــده وهيأت نفسي له » .

يوسف : (مثارا قليلا) صبراً صبراً . حان الوقت ولكن أين الصبر ؟

شفيقة : كلها ساعة وتجيئك بلحمها ودمها .

يوسف : (يزداد توترا) لا تعرفين ما أنا فيه .

شفيقة : يا ضناى ! أعرف والله . أنتم يا عشاق لا تطيقون الصبر . وأنت بالذات يايوسف . أتذكر يوم تبعتنا فى السوق ؟ ياذا اليوم ! يا ذا اليوم !

يوسف : ساعة رأيتها قلت : «يا يوسف . لقد جعل الله هلاكك على يد هذه الصبية» .

شفيقة : بل حياتك .. كفى الله الشر .

يوسف : آه لو تعرفين ! لو تعرفين !

شفيقة : عارفه ياضناى .. عارفه .

يوسف : هل عندها من الصبابة مثل ما عندى ؟ هل تحبنى أكثر من الحياة نفسها ؟

شفيقة : ألف مرة تسألنى هذا السؤال .. ليتك كنت معنا ذلك اليوم وأنا أقرأها رسالتك التى عاهدتها فيها على الحب إلى الأبد .

يوسف كيف أنصتت لها ؟ آه .. كم مرة حكيت لى هذه الحكاية ؟

شفيقة : إهيه ! سأحكيها لك من ثانى .. كل حكاياتها .. صبراً أمال ! ماذا فاتك يا شفيقة .. أعددت كل شىء ؟ دعنى أرى وجهك .. إهيه ! اخلع هذه العباءة . البس قميصاً خفيفاً . الله ! صدارى ! انت عجوز ؟ ! اخلع ..

يوسف : لا تقابى فى ملابسى هكذا .

شفيقه : احلق ذقنك. خشنة .. استحممت ؟ لتتزوج لابد أن تستحم . ما هذا ؟

يوسف : تفتشين جيوبى !

شفيقة : أنظر مافيها .. ليس عندك منديل ؟ المنديل ينفع. سأجد لك كل شيء . القميص والمنديل وكل شيء. .هنا

يوسف : دعى هذ الصندوق .

شفيقة : متاعك . . كيف تسافر ؟ افتح الشباك حتى أرى . هذا الساتر موضعه أين(تقف حائرة والساتر فى يديها).

يوسف : عدت مرة أخرى ، مجنونة كما بدأت . ارجعى !

شفيقة : أرتب لك الفراش . الله !

يوسف : ( يقبض على ذراعها ) لا فراش ولا غيره. اهدئى! اهدئى!

شفيقة : أى . ذراعى توجعنى .

يوسف : لتتذكرى ! أتمى رسالتك .

شفيقة : يادى النسوة ! كنت احكى لك ايه؟ تلك الحكاية . . لهفى عليكما . آه ! الصبا ! الصبا ! دعنى أتذكر : « الليل اعذب من فراق العاشق » هذه كلماتك . ما أحلاها وما أمرها ! مثل : احبك موت . ليلتها احتضنتها فى سريرها كما لو كانت طفلة رضيعة . ياسمينة . فواحة . دافئة . ماأنضرها! صدرها. نخذاها. خصرها . شعرها . . آه . . آه . .

يوسف : إحم .

شفيقة : وكلماتك : « الليل اعذب من فراق العاشق » ! الله يعلم أنها تشتهى وصالك كما تشتهى الحياة .

يوسف : ( متلهفا ) آه ؟ !

شفيقة : ما أن قرأتها كلماتك ألقت برأسها على صدرى وجعلت تبكى بحرقة فبكيت لها ( تغرورق عيناها من جديد ) حتى تقطعت أنفاسنا . فلما أفاقت صارت تقول : « لبيك أن كنا هنالك نلتقى » ( تغمز بعينها ) ، وتغرق وجهى بدموعها السخنة . . وانكمشت طيلة ذلك الليل فى حضنى تسألنى .

يوسف : عما كانت تسألك ؟

شفيقة : ياضناى عن أمها وأيام طفولتها : « كيف ولدت ومتى وأين ؟ كيف كان شكلى وطولى وعرضى وشعرى وكيف نبتت اسنانى . . وآه ياليتنى ما كنت ولدت ولا تعذبت يادادة » . . الله ! سيدى ! ياخرابى !

يوسف : ( مفيقا من غشية مفاجأة ) لا شىء . .

شفيقة : لا بأس عليك يايوسف . عاودك المرض ؟

يوسف : الله يعلم كم هى بريئة .

شفيقة : خذ بعض الشربات تنتعش .

يوسف : دعى هذا الإبريق . ليس الآن .

شفيقة : ( متخابثة ) أعددته لخلوتكما ؟

يوسف : نعم .

شفيقة : لا بد أن فيه شيء .

يوسف : أى شيء ؟

شفيقة : لا أدرى ؟ شباب هذه الأيام له حاجات. هيء هيء!

يوسف : ( متأثراً ) نعم . إن فيه شيء .

شفيقة : ( ملهوفة ) يوسف ! إياك أن تلوثها ! لا بد من الشهود والأشهار .

يوسف : صه ! ما أشنع ما توهمته .

شفيقة . لا تؤاخذنى . أنا لا أعرف كيف أتكلم . ولكن قلبى يأكلنى عليكما . إما كان بوسعك أن تتزوجها كما يتزوج الناس ؟ أن تلح على أبيها . .

يوسف : ( يزم شفتيه ) لا تكررى هذا الكلام . انتهى !

شفيقة : يعز على أن تتزوج حبيبتى بلا حفل ولا غناء ولا زغاريد.

يوسف : أف ؟ لا تزيدى .

شفيقة : الله يعلم أنى كنت أود أن أضيء لها بغداد كلها قناديل ، وأن أجمع تحت قدميها زهور البساتين . .

يوسف : ألم أكن أنا أود ذلك ؟

شفيقة : وأن أملأ لها الأرض والسماء غناء ، وأن أقدم لفقراء المدينة اللحم السخن والماء المسكر ، وأن أجمع حول

ياسمينتي أبكار بغدادو أملأقلوبهن بالحسرة والأحلام.
آه ! آه ! ياحسرتى أنا ..

يوسف : إذهبي الآن بسلام، وبلغيها إن كل شيء جاهز . وأعلمي ياشفيقة إني أحمل جميلك فوق رأسي . لن ننساك .

شفيقة : ياحسرتى ! إذا كنت تحفظ جميلي حقا ، قل لي يا يوسف أين تسافران . . أي مركب سيحملكما. أي نجم سيهديكما . . ياشبابي ! يا شبابي !

يوسف : أما اتفقنا على ألا سؤال .

شفيقة : هكذا ؟ ! أنسلت كالشعرة من العجين ؟ قلبي يأ كلني. أي ليل هذا الأحلى من فراق العاشق ؟ ما أعذبه وما أمره ! هل يضيئه ألف قنديل ؟ أم يضيئه قنديل وحيد مغترب ؟ ..

يوسف : فضولية كـكل الجاريات . اذهبي الآن .

شفيقة : سرك في بئر يا شاب . أنا ؟ ! أنا أفشي سراً ؟ ! لا أكون شفيقة ولا أسمى باسمي لو لم أكن كتومة كقبر . لن أراها بعد اليوم . أحب الناس عندي . من أعشقها كغلام ضائع . . من أهواها . .

يوسف : ( بامتعاض ) عدنا .

شفيقة : لا أعرف حتى أين تذهب ! كلمة واحدة كيما أفرح . كي أراها في منامي بلا قلق . هذا عرس حبيبتي

ولا أفرح كالناس . الدار معتمة وهواؤها محبوس .
ولكنى سأفرح رغم ذلك،سأضحك وأزغرد وأفتح
الشبابيك وأزيط ..

يوسف : كفى ! الناس تسمعك .

شفيقة : ما الفرح إذن ؟ لا بدأن أعلن للناس. أكيد العواذل
وأفرح الأحباب وألم العيال . .

يوسف : سأمنعك !

شفيقة : ماذا تعرف أنت عن الزواج .. ستنحس البيت !

يوسف : صه !

شفيقة : لا بد أن تغير ملابسك . إخلع هذه العباءة . أعددت
متاعك ؟ سأرى بنفسى .

يوسف : قفى ! ارجعى !

شفيقة : لا شيء هنا ؟ ماذا أفعل ؟ أم العروسة ولا عرس.
لا متاع ولا بهجة ولا شيء . . الزواج هنا؟ ليس هنا؟ أكون
معكما حيث تتزوجان . يالله! لا بد أن آتى معكما. هه

يوسف : دعى هذه الأشياء

شفيقة : ضع هذا الساتر أمام الشباك ، وافتح الشباك . لا بد
أن أراك . لم تحلق ذقنك . لابد أن أكون معكما
حيث تذهبان .

يوسف : دعى الابريق !

شفيقة : ماذا وضعت فيه. اياك أن تكون وضعت لها منوما.

يوسف : (محنقا جداً) شفيقة ! أخرجى من هنا ! أخرجى حالا ! حالا !

شفيقة : (تشهق) تطردنى ؟ !

يوسف : انت مبتذلة ، وفضولية جداً . ما شأنك أنت بكل هذا ؟ ما شأنك ؟

شفيقة : (تنهار باكية) أنا ما شأنى ؟ ! أنا ؟ ! أنا ما شأنى أنا ؟ ! أنا ؟ !

يوسف : لوثتنى وجرحت مشاعرى. ضيعت وقتاً ثميناً وقلبت دماغى . أريد أن أهدأ .

شفيقة : تطردنى ؟ ! أنا ؟! (صوتها يتسايل بالمعاتبة والاسترحام) يدى كم حملت رسائل . . وشاحى كم ستر . . صدرى كم أغرقته دموع .. قلبى كم انكسر ودق وكتم أسرار وأشجان . . ياحزنك ياشفيقة ! آخرتها ياشفيقة . .

يوسف : لا أحب أن يتدخل الناس فى شئونى .

شفيقة : لانى باكية على أموركما ،وأريد أن أشرب شرباتكما بعد كل ما عانيته . . لأنى أريد أن أهيئك للقائها فى أحسن هيئة ، واطمئن قلبى على مصيركما . . أنا أمها وجاريتها وحبيبتها ؟

يوسف : أبغض شيء يستفزني الفضول . . الفضول أنواع . . فضول فج خام ، وفضول ملفوف برقائق الشفقة المحلاة بالسكر . فضول ظمآن كالشهوة ، وفضول متلصص كما تتشمم الكلاب تبحث عن أسرار للناس في القمامة . لا أحبه . يثيرني كما تثير رائحة الدماء الثيران . .

شفيقة : ياحزني يا أنا ! ياللي انكسر بخاطري يا أنا ! في يوم زواج بنتي يا أنا ! آه . .

يوسف : لا تسأليني . لا ترعى شئوني . لا تشفقي علي . الزمي حدك !

شفيقة : يوسف . . انت لم تشرك أحداً في سرك .

يوسف : أبدا .

شفيقة : لا أخ ولا صديق ولا قريب ؟

يوسف : ليس لي أخ أو صديق أو قريب .

شفيقة : عجباً ! أنت لاتحب الناس .

يوسف : لا أحب المتطفلين والبهاليل . لا أحب المشفقين ولا الشامتين . لا أحب ناس هذا العالم الطامع الخبيث .

شفيقة : أعجب كيف أن قلبك لا يسع إلا حب فرد واحد . علم الله اني أحبك يا شاب مع ذلك . انت لا تحبني ، ولكني أحبك . . صوتك الشجي ، ووجهك المحزون .

يا للشباب ! ياالشباب ! اسم مستعار ولحية نافشة وعمامة كحجر الرحى . . هأ هأ ( من خلال دموع لم تجف بعد ) يوسف العاشق الصغير يخطف بنت القاضي في عز الظهر !

يوسف : ش ! صه ! اسمع ضوضاء في الطريق . ألم يرك أحد؟

شفيقة : أقبل يديك . دعني أكبس قدميك . أي قافلة ستحملكما إلى البصرة ؟ أي مركب سيقلع بكما في عرض البحر ؟ أي عش سيحتضن جسديكما السخنين ؟ . .

يوسف : اسكتي ! ( متسمعا ) شخص يصيح .

شفيقة : ( كطير يرفرف في الفضاء ، خفيفة رشيقة حالمة ) متى تخرجان من بوابة بغداد ؟ في زي ولدين ؟ سبحان ما اشبهكما في ملابس الغلمان ! الأمراء أم الشحاذين؟ أي ليل أحلى من الفراق سيستر عناقكما ؟ أي قنديل زيته معطر سينير وجهيكما ؟ قران في التمام . أي فطائر محلاة بالسكر ستحملان في امتعتكما ؟ آه . . لو كنت في بقجتكما ، كنت أمزق خرقا في جنبها لاراكما واذرعتكما متشابكة . .

صوت : ( من الخارج ) ياست ياصاحبة البقجة !

شفيقة : ( تقفز ) البقجة ! افتح الشباك ! ياخرابي !!

يوسف : مكانك ! اسمع ضوضاء فى الطريق ، ورجل لا يزال يصيح .

شفيقة : الحمال . . البقجة ! هرب . سيهرب حالا .

يوسف : ( يقبض على ذراعيها ) عم تتحدثين ؟

شفيقة : البقجة . . دعنى .

يوسف : أى بقجة ؟

شفيقة : بقجتى . بقجتك . بقجتها . البقجة . الحق . ياخرابى !!

يوسف : سأجن .

شفيقة : ( صارخة ) حرامى ! !

يوسف : اخرسى ! ستجمعين الناس .

شفيقة : حرامى !

صوت : (من الخارج) يا أهل الله . خلصونى بقى ! ياست ! ياصاحبة البقجة . ياصاحبة العرس .

شفيقة : ( صارخة ) أيوه .. هنا . افتح الشباك . هنا ياحرامى ! ياحمال هنا . الحق ..

يوسف : آه ! فضحت . انتهى كل شىء ..

شفيقة : هنا ، الدور الثانى . اطلع . ذهب عقلى . نسيته فى الطريق .

يوسف : ذاع السر وفسد كل شىء .

شفيقة : لا ذاع ولا حاجة . البقجة . ثياب العرس . ثيابه حبيبتى . يا حرامى . يا حمال . الدور الثانى .. آه . لا تغضب .. البقجة .

يوسف : ( يهزها بشدة ) ماذا فعلت ؟! فضحتنا ؟!

شفيقة : دعنى ! البقجة . .

يوسف : ماذا بها ؟

شفيقة : الملابس . ملابسها . ملابس لك . . ملابس العرس .

يوسف : فليلتهمها حريق ! تقودين رجلا غريباً هنا !

شفيقة : لا رجل ولا حاجة . ذا الحمال .

يوسف : حمـــال دلال يثرثر فى بيوت الناس . ينادى على ملابسى فى السوق .

شفيقة : يستحيل . ما شأنه ؟

يوسف : شيطان .. شيطان يحمل بقجة . ضعنا .. ألا تعرفين ماذا يفعل أبوها إن عرف ؟

شفيقة : تف من فمك . من أدراه ؟

يوسف : ويتوه منك فى السكة ، فيدور يطرق أبواب كل البيوت ، ويســـأل كل من قابله : أين عرس ابنة القاضى ؟

شفيقة : يا خرابى ! لم يفعل . لم يفعل .

يوسف : من بيت القاضى إلى هنا .. خطوة خطوة ورائك ، ووراء البقجة القاضى ، ومن خلفه صاحب الشرطة ، وخلفهم الوزير .. والخليفة نفسه .

شفيقة : يا خرابى ! دعنى أضلله .. سأقول له أنا العروس .

يوسف : آه ! ( كالملدوغ ) يا للسوقية ! كل شىء ابتذل .. مقرف .

شفيقة : حاشاك أن تقول ذلك يا سيدى .

يوسف : لا مفر .. استعدى لملاقاة المصير .

شفيقة : لا أكون شفيقة أن ما ضللته . لاعرس ولاحاجة. خلاص . مسافرين وخلاص .. أنت وجاريتك وخلاص.بس..( الباب يفتح فجأة ، فتقفز فزعة ) آه !

أبو الفضول : ( يدخل ويحط خلف الباب بقجة كبيرة جدا ، ويتنهد فى عمق ) أين أنت ياست ؟ دوختينى . ( متوسط العمر نحيف قصير . انفه متدلى بشكل ملحوظ . عيناه تتنقلان فى فضول غريزى من حوله )

شفيقة : لا بأس . الحمد لله . نسيتك .

أبو الفضول : لا بأس .. لا بأس . أم العروسة.

يوسف : بدأنا .

شفيقة : لا عروسة ولا حاجة . ليس فى هذا البيت عروسة

ولا عرس ولا حاجة . لا تتكلم كثيراً . ادخل البقجة وأنت ساكت . خلك أنت ياسيدى .

أبو الفضول : الله ! ماذا فعلت لك لتهجمى على هكذا ؟ دخت وراءك . درت أطرق أبواب البيوت ، واسأل كل من صادفنى فى الطريق .. ( يدخل البقجة ويتلفت حواليه )

يوسف : قلت لك .

شفيقة : يخيبك رجل ! عم كنت تسأل ؟

أبو الفضول : اسأل عن العرس ، الله ! غريبة ؟ !

شفيقة : ليس هنا عرس يا ضلالى . ألم أقل لك ؟

يوسف : ماذا قالوا لك ؟ أرشدوك عن بيتى ؟ هه ؟

أبو الفضول : الله ! الحكاية أيه ؟ ( صارخا ) ياست ، ألم أتوسل إليك مائة مرة أن تثقلى خطوتك . البقجة ثقيلة جدا .

شفيقة : أثقل أو لا أثقل .. ليس هنا عرس ولا حاجة . ما شأنك انت ؟

أبو الفضول : الله ! تريدين أن تهونى من حقى ؟ لا بد من مضاعفة الأجر : هنا عرس . اقسم بالله ثلاثا أن هنا عرس .. أنا ولد صغير تضحكين على ؟ ! عيب .

يوسف : انظرى بعينيك . اسمعى بأذنيك .

شفيقة : خلك أنت .. دعه لى . لا عرس ولا حاجة . كلها ملابس قديمة . خذ . ( تدفع اليه بدراهم من صدرها )

أبو الفضول : والله لا آخذ إلا ديناراً . . وفوقه الحلوان . هذا عرس أميرة . سراويل فتاة بكر . حناء وأدهان .. عطور وقمصان مزركشة وخرق نظيفة . . فطائر وقرص . الله ! أنا مغفل ؟

يوسف : أنا المغفل . .

شفيقة : فتشت البقجة يالئيم ؟

أبو الفضول : إهيه ! دخت وأنا دائر على كل البيوت لأجد من يستدل عليها ، وتجمعت حولى الصبية .

يوسف : وفرجتهم الملابس ؟

أبو الفضول : صنعت أكبر ضجيج يمكن لأوقظ أصحابها من سباتهم . أعمل أيه ؟ !

شفيقة : يا حرامى يا مجرم ! !

أبو الفضول : لا لا لا . لا تقولى حرامى ، لم أسرق منك شيئا ، آه .

يوسف : وكل رجل وغلام تحسس الملابس ، ورأى صنفها وتساءل عن ثمنها . والذى أعجبته والذى لم تعجبه . والذى أغرق يديه فى الحرير وأطلق لخياله العنان ..

أبو الفضول : أعمل ايه ؟ الناس تحب أن ترى بعيونها .

يوسف : يا حضيض الابتذال !

شفيقة : يا خرابى ! أ كنت تبيعها ؟

يوسف : فلتشنق جزاء وفاقا على ما دنست وماهتكت.

أبو الفضول : الله ! سيتهرب من دفع حقى . (صارخا) هذا عرس أميرة . والله لا آخذ أقل من دينار .

يوسف : أنا قلت لك تحضرى بقجة ؟ ! وأشياءها ؟ . . لتزنها الناس فى كفوفها وتلوث طهرها ؟ !

أبو الفضول : ما الخبر ؟ اليوم الجمعة والناس متوضئة . ما الذى يلوث الملابس ؟ !

يوسف : آه . .

شفيقة : لم أحضر غير اللازم ياسيدى . الحمد لله وصل كل شىء بسلام . أياك أن تكون ضيعت ابرة .

أبو الفضول : إهية ! سترمى بلاءها على هذه المرأة . لا بد من دفع حقى .

يوسف : كفى ثرثرة . دعنى افكر . . (يذرع الغرفة بعصبية) .

أبو الفضول : ثرثرة ؟ ! ثرثرة من ؟ ! لقد فرهدنى الحر . الحق على . اسقنى كوب شربات ياست (يهم بالابريق) .

يوسف : (يختطف الابريق) دع الابريق . (لنفسه) والله أنت أحق به .

شفيقة : إلزم حدك ياخطاف . ليس هذا شربات .

أبو الفضول : ليس شربات ! يبدو عليه . .

شفيقة : شربات ولكن ليس لك . . (وتضحك ضحكة ذات معنى)

يوسف : (يدور فى الحجرة) ماذا أفعل ؟ ماذا أفعل ؟

شفيقة : ( تبحث فى البقجة ) أين الأقراص المسكرة ؟ أهه . .

أبو الفضول : (وهو لا يحول نظره عن الإبريق) آه! به شيء.. (لشفيقة جانبا) والله ينفعنا نحن الاثنين فى خلوة .

شفيقة : ( تضربه على صدره ) خذ دراهمك وانصرف .

يوسف : (بصوت مبحوح) شيطان دخل بيتى . الجن والأنس نهشت خلوتى وهتكت سرى .

أبو الفضول : البقجة ثقيلة جداً . ربنا يتمم بخير ياست .

شفيقة : خذ دراهمك وانصرف أحسن لك .

يوسف : ينصرف ؟! كيف دخلت ذهنك هذه الفكرة الشريرة؟ تعال هنا . اقترب منى . .

أبو الفضول : (مسرورا) سيكافئنى على أمانتى .

شفيقة : خذ دراهمك وانصرف احسن لك .

أبو الفضول : لا تقطعى رزقى ياست . . الله !

يوسف : أنت متأكد أن هنا عرس ؟

أبو الفضول : إلا متأكد .

شفيقة : يخيبك رجل .

يوسف : ألك رفاق فى السوق تحدثهم عندما تعود .. كم حملا شلت وكم أجرا أخذت ؟ فى البيت الفلانى عرس . زبونتى تاهت وكان فى بقجتها كذا وكيت . . هه ؟

أبو الفضول : ( حذرا ) نحن نتحدث بالطبع .

شفيقة : يخيبك لا تتحدث . لا تتحدث .

يوسف : وكل غريبة صادفتها . . وكل حادث وقع لك . . ما الذى استرعى انتباهك هنا فى بيتى ؟

أبو الفضول : ( لا يزال حذرا ) انتباهى ؟

شفيقة : لا تتكلم . لا تجب .

أبو الفضول : انتظرى ياست . السيد يحدثنى . . لا تقطعى رزقى . الذى أثار انتباهى أن البيت ليس فيه زينات ولا شيل وحط . البيت نظيف ، نعم . . ولكن فى الأمر شىء . .

يوسف : أتستطيع أن تخمن هذا الشىء ؟

شفيقة : لا تخمن . لا تخمن .

أبو الفضول : الله ! انتظرى ياست آمال . . أخمن . . آه (يدور بعينيه حائرا ومفكرا ) أنت فى مأزق ياسيدى .

يوسف : من أى نوع ؟

أبو الفضول : زواج سرى .

يوسف : ( هائجا ) أرأيت !! لن تخرج من هنا حيا .

أبو الفضول : (مذعورا) الله ! سيدى !

يوسف : لن تخرج من هنا حيا . لقد فتشت كل شىء، وفكرت طويلا . لن تخرج من هنا حيا ( يمسك بخناقه ) .

شفيقة : ياخرابى ! دعه ياسيدى . ستلم الناس .

أبو الفضول : يانهار أسود ! أين وقعت ؟

يوسف : سأذبحك .

أبو الفضول : الرحمة . ماذا جنيت !

شفيقة : دعه يا يوسف . فى يوم عرسك . .

أبو الفضول : عرس ! أهه ياسيدى . أنا لم اتجن . . هنا عرس

يوسف : ( وقد تمكن منه تماما ) ستخرج من هنا إلى السوق . . هه ؟ يسألك زملاؤك أين كنت . . كنت أحمل ثياب العروس . . من هى العروس ؟ آه . هما فى مأزق . . ما هو ؟ من العريس ؟ ما شكله ؟ عنوان البيت ؟ الجارية قادمة من حى دجلة إلى ما وراء المسجد . . من بيت من ؟ ومن هنا لهنا بغداد كلها تلوك حكايتى . لن تخرج من هنا حيا .

شفيقة : ( تتعلق بهما ) لا تقتله ياسيدى .

أبو الفضول : بحق جاه النبى لن أتكلم . ولا كلمة .

شفيقة : لا تقتله . فأل سئ .

يوسف : أنت تستحقين القتل مثله .

شفيقه : ( تقفز مرتاعة ) يا خرابى !

أبو الفضول : أقطع لسانى ولا تقتلنى . .

شفيقة : أقطع لسانه يا يوسف . أقطع لسانه . .

أبو الفضول : اتق الله ياست وقولى كلمة فى صفى .. اقطع لسانه ايه ؟!

يوسف : أقطع لسانك أفضل . السكين فى المطبخ . لا . لا تذهبي انت .. ( حائرا )

أبو الفضول : احبسنى عندك إلى الأبد .. لا أخرج من بيتك حياء ولا تقطع لسانى .

شفيقة : أحبسه يا يوسف ، لا تلطخ يدك بدمه يوم عرسك . أحبسه طول حياته .

أبو الفضول : اتق الله ياست وقولى كلمة فى صفى .. إحبسه إيه ! أين وقعت ! !

يوسف : احبسك . هذا أفضل .. إذا كنت جنا فسأصنع بك ما صنع سليمان . ستقضى دهرا فى هذا الدولاب ( يجرجره ويفتح الدولاب ثم يغلقه ) لا . فى هذا الصندوق . ان كان لك حظ سيأتى من يخلصك من حبسك ، وإلا فستموت اختناقا .

شفيقة : احبسه يا يوسف وسافر انت . . لا تحمل هما .

أبو الفضول : ( يقفز ) ستسافر ؟ !

يوسف : أبدأ من جديد ، تطلع بعينيك كاللص ، ووسع أذنيك جيدا ، واحشر أنفك ، وألق علينا الأسئلة ..

شفيقة : احبسه يا يوسف جزاء فضوله

يوسف : (فاتحا الصندوق دافعا الحمال داخله) وانت .. غادرى بيتى من فورك . أصحبى سيدتك إلى هنا ولا تخطئ . اياك أن تخطئ . (الحمال يدخل الصندوق مستسلما)

شفيقة : أرسل لك حلاقا يا يوسف ؟

يوسف : اياك أن ترسلى أحدا . كفاك .. أخرجى . (تخرج فزعة)

أبو الفضول : (يطل برأسه لحظة سماعه كلمة حلاق) يلزمك حلاق ياسيدى ؟

يوسف : ادخل .

أبو الفضول : أنا حلاق ياسيدى .

يوسف : لا أريد أدخل .

أبو الفضول : لا يصح أن تلقى صبيتك وذقنك خضراء خشنة ..

يوسف : أطع .

أبو الفضول : ما يضيرك ؟ وسواء كان عرسا أم غيره ، لابد من حلاق .. ذقنك كالفرشاة . أصفف لك شعرك فى دقيقتين .. حلاق درجة أولى ، خفيف اليد قليل الكلام .. وأعود للصندوق .

يوسف : (يغلق عليه الصندوق ويحكم الرتاج . يسرع الى الشباك وينصت بعض الوقت ثم يرتد عصبيا . لا يزال حنقا . ويتجه الى المرآة) أخيرا ستجئ . ياحبيبتى ، حياتى

وموتى ، ماأعظم فرحى بك وأسفى عليك . كل شيء
قد هدأ . ماأعذب الموت . يا هيكل الطين . بعد قليل
تتداعى . ماضرنى لو كانت ذقنى خشنة ! حمال فضولى .
نصف ساعة وينتهى كل شيء .. تراه يثرثر لو أخرجته .
اخشى أن يكشف سرى . كشف أكثره للوهلة الأولى .
لماذا يلح على كل من يرانى أن أحلق ذقنى ؟ أووه ! !
(يفتح الصندوق ويرفع غطاءه) كيف أنت حلاق يا رجل ؟

أبو الفضول : ( يطل فرحا ) حلاق أمال .. ومعى العدة .

يوسف : تعرف تحلق ؟

أبو الفضول : أعرف ؟ ! إلا عرف ! . . أبو الفضول الحلاق ياسيدى .

يوسف : من ؟

أبو الفضول : أنا .

يوسف : سبحان الذى ألهم أباك أن يسميك . أرنى العدة .

أبو الفضول : (يقفز خارج الصندوق ويخرج من ملابسه لفائف قماش ويرمى أشياء على الأرض ) .. تفضل ياسيدى . أجلس هنا . الطشت . أين الماء ؟ ( يلتقط الابريق فوق الطشت ويهم بالبحث عن الماء )

يوسف : قف . تعال .. أتظن أنك ستتجول فى البيت على كيفك ؟

أبو الفضول : لا أقصد ياسيدى . خذ . تجول أنت : املألنا الماء .
يوسف : ( حائر وبيده الابريق ) إياك أن تلمس شيئا . سامع !
أبو الفضول : حاشاك أن تظن ذلك يا سيدى .
يوسف : سأغلق الباب بالمفتاح . إياك أن تحاول الفرار .

( يغلق الباب ويخرج )

أبو الفضول : أنا ؟ ! لم تفهمنى بعد .. أنا خدامك (وحده يتطلع حوله منتبها جداً ومتوترا ) .. كأسان وأبريق .. شراب مسكر .. على الطلاق أنه خمر . وبه شيء تقول الست . عارفه .. عرس ودخلة وشيء لزوم المتعة . ستفرح بذلك زوجتى . أشربه ؟ لا .. سيشم رائحة فمى وتبقى واقعة . ما يضيره لو أخذتها كلها .. هو شاب أما أنا فكهنة .. (يشم الابريق ) الله ! لا .. لن يشعر بسرقتى أبدا . اسكبه فى قارورة العطر ( يتلقط القارورة ) وأين أضع العطر ؟ عطر أيه يا أبا الفضول ، أنت تصدق ؟ ده كلام للزباين بس ! هأو .. قال عطر قال ! ( يسكبه على الأرض ) أضع بدله ماء ملونا . ألونه أنا .. عندى صبغة الشعر . قليل جدا فوق الماء . ( يسرق الشراب فى قارورته ويخبئها فى كيسه ثم يشرع فورا فى مزج قليل من صبغة الشعر فى الابريق ) هيلا هيلا هيلا لم لم ..

يوسف : ( يدخل ويتطلع حوله مسترياً ) ماذا تفعل ؟

أبو الفضول : آه.. أرغى الصابون .

يوسف : خذ ( يدفع إليه ابريق الماء )

أبو الفضول : لماذا تتعب نفسك يا سيدى . أنا خدامك . اجلس . أين تضع .. ( يفتح الدولاب )

يوسف : قف .. تسرق ؟

أبو الفضول : أسرق ؟ ! عيب يا سيد . ابحث عن فوطة .

يوسف : لا تبحث عن شيء . اطلب ما تريد .

أبو الفضول : لماذا تتعب نفسك ؟

يوسف : سأجيئك بفوطة ( يخرج إلى الغرفة الداخلية ، وفى اعقابه الحلاق )

أبو الفضول : ( يشهق ) يادى السرير ! !

يوسف : مكانك ! اسمع يا حلاق . أنا رجل عصبى المزاج فلا تستفزنى . عد مكانك . إياك أن تبارح مكانك .

أبو الفضول : الله ! أفزعتنى يا سيد .. فال الله ولا فالك ياشيخ . . يصعب على تعبك .

يوسف : إياك أن تبارح مكانك .

أبو الفضول : لن أبرح . تفضل (يخرج يوسف ) الفراش فراش غرام ، والملابس متستفة فى الدولاب ، وصندوق

الأمتعة فارغ كقلب الخلى . والله ولا سفر ولا غيره.
هنا يا أبا الفضول سترى بعينيك وتسمع بأذنيك كل
شيء . إن لم يكن زواجا سرياً فهو وصال عاشقين
سخنين جداً . ورطة فظيعة وقع فيها الولد . .

يوسف : ( يدخل ) هذه الفوطة . ماذا تريد بعد ؟

أبو الفضول : لا شيء . حزام لأسنّ الموسى .

يوسف : أووه ! حزام لأسن الموسى ( يخرج ثانية )

أبو الفضول : ( فى غاية السرور ) ماء ، وصبغة . حناء تنفع .
( يخلط الماء مع الصبغة فى الابريق ويرجه ) عليها ماء،
وينتهى كل شيء . يلزمه بعض السكر . طظ !!
والله لو شربا علقما لوجداه حلواً . الولد فى مأزق..
والله ينوبك ثواب يا أبا الفضول لو أنقذته ..

يوسف : ( داخلا فجأة ) هذا الحزام . ماذا تفعل عندك ؟

أبو الفضول : ( لايهتز ) الله ! أرغى الصابون . تفضل اجلس .

يوسف : ( يجلسه الحلاق فى مواجهة المرآة ) أعرف إنك لا بد
أن تكون فضولياً . أنت حلاق . . هذه مهنتك .
ولكن لا تستفزنى . أنا أبغض الفضول .

أبو الفضول : وأنا يا سيدى . لشد ما أبغض الفضول ، فوالله
ماخرب بيتى غيره . أقص شعرك ؟

يوسف : اطرافه فقط ، إذا كنت تستطيع أن تفعل ذلك بسرعة .

أبو الفضول : زيت القرنفل ؟

يوسف : لا داعى .

أبو الفضول : أفرقه ؟

يوسف : لا بأس . عجل .

أبو الفضول : والذقن ؟

يوسف : احلقها .

أبو الفضول : فتلة ؟

يوسف : لا .

أبو الفضول : والشارب ؟

يوسف : دعه لحاله .

أبو الفضول : أحففه قليلا ؟

يوسف : لا تذهب صبرى .

أبو الفضول : صبراً .. صبراً .. لا أريد أن أغضبك .

يوسف : افعل ما تراه ولا تلح على بالأسئلة .

أبو الفضول : الشارب لو حففته أحسن .

يوسف : لا تحففه . اخلص . اشتغل .

أبو الفضول : أريد أن اشتغل على نور حتى لا أغضبك .

يوسف : لا تسألنى فى شىء . اسكت .

أبو الفضول : الأمر يعتمد على المناسبه يا سيد - هذا سؤال لزوم إحكام الصنعة . آه .. فالحلاقة فن . إن كنت ذاهباً لملاقاة أمير أو وزير ، أو كنت على موعد مع غانية سمينة لعوب ، أو كنت مقبلا على جلسة تجار لتعقد صفقة . . أنفش لك شاربك . إما أن كنت على موعد مع صبية رقيقة .. أحففه لك .

يوسف : بمعنى آخر تريدنى أن أطلعك بنفسى أين أنا ذاهب .

أبو الفضول : أنا ؟ ! حاشاى أن أكون فكرت فى ذلك . بالله لا تسلط ذكاءك على . لست قدك . ما شأنى أنا . . عرس أو لا عرس .. سفر أو لا سفر . . أصدقك النصيحة ، نعم . . لو سألتنى . إما إذا لم تسألنى ، فلاشأن لى بك . عرس أو لا عرس .. ما شأنى أنا!!

( يتضح من شغله ان يده ثقيلة ولسانه خفيف )

يوسف : هذا خير لك . لا تتدخل فيما لا يعنيك .

أبو الفضول : عين الحكمة . فتى فى مطلع العمر ، ولكن الله يكملك بعقلك يا سى يوسف .

يوسف : (يسترخى . الحلاق يدلك له رأسه بيدين خبيرتين ) عرفت اسمى ؟

أبو الفضول : عاشت الأسامى . اسم رقيق وجميل ، تحبه البنات . سنك ؟

يوسف : ما شأنك !

أبو الفضول : سن العشق والهيام . فتى وسيم نحيل من العواطف الجامحة ، والوجد المشبوب ..

يوسف : لا تسترسل .

أبو الفضول : يقول المثل : إن كنت في الموصل ، افعل ما يفعله الموصليون . معناه : إن كنت مسافراً الشام ، ابرم لك شاربيك . إما أن كنت قاصداً البصرة ..

يوسف : اسمع ياخبيث. لاتتعقبني . لا تلح في تعقبي وإلا نفد صبري . أبغض شيء عندي الفضول .

أبو الفضول : قاتل الله الفضول ، صنعةالنساء. عندي ، إذا أذنت لي في الكلام ، رجل صاحبي شيخ قافلة ، إذا كنت لا تأمن أباك إإمن له ..

يوسف : لا أريده .

أبو الفضول : لا ، لاتستهن بالسفر ، الطريق محفوف بالخطر ، والحوادث تقع كل يوم . بدو متوحشون في الصحراء .. ذئاب جائعة .. سفاحون في ثياب ادلاء ! الروح حلوة .

يوسف : لست مسافراً. وفر جهدك .

أبو الفضول : الله ! مسافر .. لاتسافر .. صارحني ياسيديوسف ، أنا خدامك ، أخدمك . رجل محنك .. خمسون

سنة ألطش فى هـذا العالم . اسألنى . اسألنى امال ،
اسألنى أنا .. ما يخفيك ؟ لن أنزل من هنا حياً .

يوسف : لا تثرثر ، حفف الشارب وعجل .

أبو الفضول : ( جانبا ) صبية والله ! عرس ولا عرس . سفر بلا متاع . خطف ! سيختطف البنت . صبى وصبية صغيران وفضيحة كبيرة تروح فيها أرواح . يادى الداهية !!

يوسف : بماذا تهمهم هناك ؟ خلصنى .

أبو الفضول : سترى جمالك بعد أن تحلق ياسيدى . ( متأثرا جداً ) سترى بهاء صباك . سترى نور وجهك الحسن المستدير ، آه ! الصبا ! الصبا الذى يدفع صاحبه إلى التهلكة .

يوسف : انتبه لعملك .

أبو الفضول : ( متأثرا ) ياضيعة شبابك يا سيدى !

يوسف : ماذا تقول ؟

أبو الفضول : لا تطع هوى النفس . لا تستسلم لجماح القلب . قل لروحك : رويدك يا نفس لا تهلكينى .

يوسف : جاوزت حدك ! ويلك !

أبو الفضول : ( مبالغا فى التأثر ) ليتنى لم أستيقظ هذا الصباح . ليتنى لم أصادف جارية السوء فى أول الميدان . ليتنى لم أخاطبها ولا اتفقت معها على الأجر . ليتنى ضعت بالبقجة فى الأزقة لم أعثر لصاحبتها على أثر ..

يوسف : اسكت ، قلت لك .

أبو الفضول : ( يكاد يبكى ) ليتنى ما درت فى المدينة ولا زعقت : ياست ، يا صاحبة البقجة .. فإن حلقى يغص وقلبى ينقبض من اجلك يا بنى .

يوسف : اخرس وإلا ادخلتك فى الصندوق من فورك .

أبو الفضول : شبح يوسف .. مجندلا فى بستان الوزير .

يوسف : ( مضطربا ) يوسف من ؟ وزير من ؟

أبو الفضول : يوسف منصور الذى أحب ميمونة جارية القاضى.

يوسف : ( منتبها جدا ) من ؟

أبو الفضول : أهه . ألم أقل لك . تريث .. تمهل .. كلمة من هنا وكلمة من هنا تتروى . بغداد مدينة حلوة ، ولكنك لا تعرفها .

يوسف : أراجيف السوقة .

أبو الفضول : ( يجاهد ليتمكن من يوسف ) اسأل كل رجل فى بغداد. أراجيف ايه ؟ ! أنا بياع أراجيف ! ! والله قصة لا أحب حكايتها .. ولكن أقصها لما فيها من عظة وعبرة ، لمن كان مثلك فتى صغيراً غريباً .. اتفق يوسف من حبيبته على اللقاء فى بستان الوزير خارج بغداد ، ورشا البستانى . ولكن حدث فجأة أن نزل الوزير يتنزه فى البستان فلعب الفأر فى عب البستانى ..

يوسف : وزير الخلافة ؟

أبو الفضول : هو . خشى البستانى أن يقع الوزير عليهما صدفة ، أو أن يكون الأمر قد تسرب إليه فجاء يضبط الواقعة بنفسه .. القصد . استولى عليه الخوف ، فقال لنفسه : روحاهما فداء لروحى . فما أن اقترب الوزير من خلوتهما حتى صرخ البستانى : الحقونى ! الحقونى ! الزانى ! الزانية ! فتطلع الوزير إلى العاشقين. وكانت ميمونة عارية فى وقدة الشمس تلمع على ثدييها حبات العرق ، فأثارت الوزير. رجل شهوانى ..

يوسف : ( مفتوح العينين ) قذر !

أبو الفضول : جرجرها إلى خميلة بمساعدة البستانى وهى تصرخ وتقول : « رحماك ياسيدى .. أنا جارية القاضى » . فما نفع صياح ولا نفع اسم القاضى ولا أى شىء .. وخاف الوزير بعدها أن تفتضح فعلته ويغضب القاضى ، فقتلهما الاثنين ، وزعم أنهما هاجماه فى البستان وأفزعاه .. قال !

يوسف : يا للاجرام !

أبو الفضول : ارخم شبابك ياسيدى.

يوسف : أيعرف القاضى حقيقة القصة ؟

أبو الفضول : يعرف . وسيزوجه ابنته أيضا .

يوسف : ابنته ؟

أبو الفضول : ياسمينة . أنهم يكتمون الأمر ، ولكن البلد كلها تعرف . إمسك . ( يقدم له طرف الحزام ويسن الموسى )

يوسف : ( تائها ) وغد حقير .

أبو الفضول : ( فزعا ) أنا يا سيدى ؟

يوسف : أنت وكلكم . الناس . الحياة مريرة . العصر مذنب . .

أبو الفضول : ( جانبا ) أثرت فزعه . أحسن . لابد من أنقاذه .. من هى ؟ من ياترى ؟ ( ليوسف ) الله الله الله . خبر ايه ؟ ! .. عصر جميل . بناته أجمل . .

يوسف : رجل مثلك لا شهوة له إلا مضغ سير الناس لا يرى أكمل من عصر عامر بالفضائح .

أبو الفضول : كل بيت يغص بالأبكار الناعمات ، ورجل فى شبابك ووسامتك ..

يوسف : الكلاب تعض قلوب الشباب ، والفضوليون من أمثالك لا يعدمون لذة استنشاق أبخرة الجثث التى جندلها الوزير .

أبو الفضول : ( لنفسه ) الله الله . . كدنا نصل . الحكاية تتكرر . . ( ليوسف ) إذا كنت تريد أن تعشق فغادر بغداد فورا . لاتمثل أبدا أمام قاضيها متهما . القاضى رجل

شديد البطش . أف منه ! لا يرعى شبابك أو هوى قلبك ..

يوسف : أنا أعرف بالقاضى أنا .. ولا أهاب أحدا .

أبو الفضول : ( جانبا ) له شأن مع القاضى . يحبه أم يكرهه ؟ أخاف أن أغضبه . سنرى .. ( ليوسف ) على أية حال ، عفا الله عنه . قاس بعض الشئ ، ولكنه معروف بالعدل .

يوسف : ( بحنق ) أنا أعرف بالقاضى أنا . .

أبو الفضول : ( جانبا ) يكرهه ! ( ليوسف ) آه ، يا للرجل ، يا للرجل ! رجل ؟ ! بل هو زمبيل محشو بالظلم والبطش والرشوة والفساد . سلسالة عفن . .

يوسف : أخرس . لا تزد !

أبو الفضول : ( حائرا ) إه ! هذا ما يقوله الناس . أما أنا فأعرف عنه العدل . .

يوسف : العدل لا .

أبو الفضول : فى توزيع الظلم .

يوسف : ولا هذه .

أبو الفضول : سمين كبقجة الشرور . وصولى . قذر . دنئ . لحاس أعتاب الحكام والوزراء ..

يوسف : هو ذاك .

أبو الفضول : لص . غادر . كافر . فاسد الخلق ، أبا الجد . .

يوسف : لا تجاوز حدك .

أبو الفضول : ( يلوح بذراعيه ) حيرتني ياسيدي . هذا رجل خرب بيتي . أي حد أراعيه معه ؟

يوسف : أن ذهبت له بقدميك فذنبك على جنبك .

أبو الفضول : بل هو الذي جاءني بقدميه . كانت لي دكانة حلاق في السوق . وذات يوم كنت واقفا بدكانتي لا بي ولا علي ، فاذا رجل سمين جدا جدا — يدخل علي . قلت لنفسي : هذا إما قاضي بغداد الجديد القادم من الكوفة ، أو هو شبندر تجار البصرة القادم لشراء جواري الجركس من سوق الثلاثاء ، كما سمعنا . يا ترى ! يا هلترا ؟

يوسف : شهاب الدين وأخوه .

أبو الفضول : شرفتنا ياسيدي ! نورت بغداد ياسيدي ! السعدجاءنا ياسيدي . . إنه ينطق. ولا كلمة. اغتظت منه جدا . .

يوسف : ارشه تعرفه .

أبو الفضول : . . نزلت عليه بالموسى جرحته . .

يوسف : إه !

أبو الفضول : خدش بسيطة ، ولكنه كاف ليحس بدمه يسيل .

يوسف : جرح كبير ؟

أبو الفضول : لا كبير ولا صغير . جرح بالحجم المطلوب بالضبط .. يد محسوبك موزونة .

يوسف : أكان دمه أسود ؟

أبو الفضول : غامق قليلا .

يوسف : ( يستخفه الطرب ) كيف تفرق بين دم قاض ظالم ودم تاجر فاسد ؟

أبو الفضول : المهنة ياسيدى ! التاجر الكنود إذا أحس بدمه يسيل يضع أصبعه على الجرح لا يرفعه إلا إذا جفته بالصبغة الكاوية ، ولا يشتمنى قبلها أبدا . أما القاضى الذى جبل على البطش فهو يمسح الجرح بيده ليملأ ناظريه بلون الدم فوق أصابعه ، فيستشيط ويهتاج وتلهب دماغة حمية الاعتداء .

يوسف : وقعت فى القاضى . مرحى ! ضربك ؟

أبو الفضول : ضربنى ! خرب بيتى والله . ضرب وشرطة وسجن ومحاكمة . وفى الآخر لم يكتف بهذا فحرمنى رخصتى أيضاً . قال أيه . . أنا غير أمين على أعناق الزبائن . وأنت ؟ أأنت أمين على أعناق المتهمين ؟ وهكذا

صرت حمالا حلاقا جوالا ولا حول ولا قوة إلا بالله .

يوسف : (يضحك) جزاء وفاقا .

أبو الفضول : (متخابثا) تضحك ياسيدى من مصائب الناس ؟

يوسف : لا عليك .

أبو الفضول : (مسترسلا فى اصطناع التأثر) لست باكيا على نفسى ، وإنما على العيال .

يوسف : رزقهم على الله .

أبو الفضول : (متأثرا جدا) أنت لا تعرف هم الأب . . ألك أب؟

يوسف : نعم . لى أب .

أبو الفضول : يحبك ؟

يوسف : أنا وحيده .

أبو الفضول : سيبكى بكاء مرا ، حتى يفقد البصر . سيلطم وجهه حتى يهون على الناس ، فتسخر منه . .

يوسف : كفى ! انتبه لعملك . أعوذ بالله . لماذا يبكى أبى ؟

أبو الفضول : (متشاغلا عنه) إذا مت .

يوسف : أجبنى . ما الذى أدراك إنى أموت ؟ تكلم .

أبو الفضول : أرغى الصابون ياسيدى .

يوسف : سحقا للصابون . تكلم .

أبو الفضول : ( يملأ وجهه صابونا) رفقا بشبابك يايوسف. لاتخاطر. اسألنى أنا . . أنت غريب . اسألنى أنا . ستضيع روحك لو علم سيدها . سيعلم . أى شيء يخفى فى البلد كلها ؟ دعك من المخاطر ياسيدى . لا تضيع شبابك . لا تهدر صباك . .

يوسف : ( وجهه فى الصابون ) انتبه لعملك .

أبو الفضول : أنتبه أنت ، فالموت فى طريقك . اسمع نصيحتى . أوقف هذا اللقاء . أطردها . ما اسمها ؟ ما شكلها ؟ كيف تحبها ؟

يوسف : جاوزت حدك .

أبو الفضول : الله سيدى . . أنت صغير السن . هذا ليس حبا . نزوة طائشة . الحذار ! أنت غريب فى بغداد . الحذار !

يوسف : ( يقف ) اخرس وإلا .

أبو الفضول : سرك فى بئر يا سيدى . استنصحنى انصحك . لاتخف منى . يقتلونك ( جانبا ) كيف أقنعه . أصرخ ؟

يوسف : لا شأن لك .

أبو الفضول : ( يصرخ ) كل الشأن ، الله ! بنات الناس يا رجل ! اتق الله !

يوسف : ويلك ، اخفض صوتك .

أبو الفضول : سأصرخ . بنات الناس يا رجل ! حرام عليك .

يوسف : سأقطع لسانك .

أبو الفضول : اقطع ! بنات الناس ! أهي زوجته ؟ ابنته ؟ جاريته ؟ اخته ؟ أيهن ؟

يوسف : زوجة من ؟ ابنة من ؟

أبو الفضول : سرك فى بئر ياشيخ. استنصحنى أنصحك . أناعارف. أمال أيه ! أنا عبيط ؟ القاضى طبعا .

يوسف : جاسوس .

أبو الفضول : ( جانبا ) هو . هو . قاربنا النهاية ( ليوسف ) حرام عليك شبابك . بنات الناس . الله ! هى سايبه ؟!

يوسف : اقسم أنك تعرف أكثر مما ينبغى . جاسوس دسه أعدائى على ، لم يعد ينفع معك حبس أو قطع لسان . اقسم انك تستطيع أن تروى القصـــص بيديك وعينيك كما يفعل الخرس . لا بد من ذبحك ( يخطتف موساه ) .

أبو الفضول : موسى ، بموسى .

يوسف : لا تصرخ .

أبو الفضول : لا تقتلنى ، سأنفعك .

يوسف : هذا الموسى سيقيني شرك .

أبو الفضول : اؤمن لك الطريق وأنت خارج بمحبوبتك ، ناضرجي.

يوسف : لن أبرح هذا البيت :

أبو الفضول : ألم أقل لك ؟ ! ألم أقل لك ؟ ! لست مسافرا , أهه !

يوسف : اخفض صوتك ! اخفض صوتك ! آه ، لا أطيق أن اذبحك. ضربة واحدة لا تحتاج لشجاعة كبيرة ..

أبو الفضول : عندي سبعة عيال ياسيدي . الرحمة !

يوسف : تعرف أكثر مما أطيق . إذا لم تعترف لى بكل شيء لن ارحمك .

أبو الفضول : سأعترف .

يوسف : ماذا تعرف عني . تكلم ؟

أبو الفضول : أنت ستخطف بنتا .

يوسف : من هي ؟

أبو الفضول : لا أعرف بالضبط .. من بيت القاضي .

يوسف : أين سأذهب بها ؟

أبو الفضول : الفردوس . ياوعدى !

يوسف : تعرف كل شيء ! ويلى منك . أى حماقة جعلتنى أدخلك بيتي . اعترف حالا ، من أرسلك فى طريقى .

أبو الفضول : الله أرسلني لأنقذ حياتك .

يوسف : تكذب .

أبو الفضول : اقسم إنى رسول العناية الالهية .

يوسف : ما الذى يغريك ؟ ما الذى يلهبك لمعرفة أحوالى ؟

أبو الفضول : الطبع ياسيدى ! لا شىء غير الطبع !

يوسف : لا أكاد أصدق.

أبو الفضول : ( مذعورا يحق والموسى على عنقه ) شىء فى قلبى يأ كلنى حتى أعرف. لا أهدأ حتى أعرف.

يوسف : لوثة وجنون

أبو الفضول : أعرف لأنصحك يا سيدى .

يوسف : سعار! سعار كسعار الكلاب الهائمة الهائجة ، لا راد لها إلا القتل . لو كنت حاكما فى هذا البلد لأمرت بإعدام جميع الفضوليين . يا إلهى ! أتمنى ألا أرتكب حماقة فى اللحظة الأخيرة . هيا ادخل الصندوق إن كنت تحرص على الحياة.

أبو الفضول : يستحيل يا سيدى .

يوسف : أطع .

أبو الفضول : ذقنك نصفها لم يحلق بعد.

يوسف : أدخل .

أبو الفضول : شكلها قبيح .

يوسف : لا تجعلنى أقتلك .

أبو الفضول : أغسل لك وجهك .

يوسف : اجمع هذه القاذورات حالا .

أبو الفضول : دقيقة واحدة . القارورة يا إلهى ! طيب خلاص . دخلت .. ( يطل برأسه من الصندوق ) أخ .. لم تغير ملابسك .

يوسف : صبراً يا إلهى ! ( يغلق الصندوق )

أبو الفضول : ( من الداخل ) وماله عصبي ! انظر فى المرآة.

يوسف : ( يحكم إغلاق الصندوق بالسيخ ثم يتطلع للمرآة ) المجرم، شوهنى.لم يبق إلا دقيقةويطرق بابى ،ثمأحيا وأموت، فى طرفة عين . . دقيقة واحدة ثم.. العرس والموت. وشكلى مع هذا يثير السخرية . لا أطيق أن أغاق، عينى على صورتها وهى تضحك منى .الله ما أضعفنى. ( يفتح الصندوق بسرعة ) أخرج . فى لمحة الطرف.. خلاص شغلك . ( يبدأ الحلاق فورا ، ينثر عدته ويعمل وهو يصطنع سرعة أكبر من حقيقة العمل الذى يقوم به )

يوسف : أسرع ، أرنى المرآة ، ما أثقلك .

أبو الفضول : ها أنا مسرع ياسيدى . أبو الفضول ياعترة ، خفيف اليد قليل الكلام . إلا أن ملابسك غير مناسبة .

إذا كان عندك قميص خفيف وحزام ملون ( جانبا ).
لا بد أن أن أحبسه . ماذا أفعل ؟

يوسف : أف ! تلح تلح تلح ، أنت وشفيقة ، ما الحكاية ؟ شكلي مضحك !

أبو الفضول : طأطئ رأسك أغسلها لك . هوب . لا تخف. ( يغرفه ماء )

يوسف : أغرقتني .

أبو الفضول : لا تؤاخذني . بركة . بدل ملابسك ، فرصة ! اخلع لا تخف ، قبل فوات الوقت. لحظة واحدة وتصبح فتى بغداد الوسيم ، هات ، هات !

يوسف : عريتني.

أبو الفضول : ملابسك الداخلية أيضاً ، رائحتها عرق . لا يغلبك الحياء . الله . الله . نحن رجال . الساتر هنا . خلف الساتر . ( عراه تماما ودفع به خلف الساتر ).
لا عليك ، دقيقة واحدة . أنا محسوبك . كما تحب . في البقجة.. أنا عارف الدولاب . ( في هذه الأثناء يمرح الحلاق في البيت كما يشاء ، ويوسف عاريا خلف الساتر يقدم رجلا ويؤخر أخرى خجلا من عريه . يبدو أن الحلاق يبعثر كل شيء في البيت ، وكأنما انتابته نوبة عبث صبيانية وهو طول الوقت يحتج بالبحث عن ملابس

ملاءمة ، كأنما لا يجد شيئا مناسبا أبدا فيردد من حين لآخر « ولا هـذه » .. « شكلها رذيل » .. « لونها سخام » ... الخ ) .

يوسف : (بصوت معذب ) الغياث ! الغياث ! إسرع ، أتوسل إليك . شيطان وقع فى بيتى وأسرنى . ياوغد ! ماذا تفعل ؟ يا لص ! يا كافر ! ( يغلب حياؤه فيقدم على الخروج ثم يرتد مغلوبا على أمره ) آه ...

أبو الفضول : ( فى خلال الهرج الذى يصنعه يضع السيخ فى حلقة الحديد بالصندوق ويكسرها فيستحيل بعدها إغلاقه ) لا تيأس يا سيدى . سأنتقى لك أحسن ما تحب البنات . هذا يوم عيدك . يوم اللقاء ، يوم السرور ، يوم الوصال . ترر رم رم رم .. لا لا لا للم لم .. ( يندفع الى غرفة النوم )

يوسف : لا تلوث السرير . لا تدنس كل شيء . يا إلهى !

أبو الفضول : لا تيأس يا سيدى . سأجد لك أحسن ما تحب . آه هذا ما نريد . أووه ، يادى الواقعة ( يدخل ) ياسمينة ! ( يلوح بورقة لعلها خطاب غرام أو قصيدة شعر ) ياسمينة ! بنت القاضى ! خطيبة الوزير ! هلكت ياسيدى . ضاع شبابك ( يلطم وجهه ورأسه ) هذا ما كنت أخشاه . . ضعنا كلنا ، متنا . وا أسفاه على الحياة . رحنا وراحت ارواحنا ، آه !

يوسف : عرفت كل شيء ! عرف كل شيء .

( طرق على الباب يستمر .. يندفع الحلاق إليه ثم يعود ).

أبو الفضول : المفتاح !

يوسف : فى الملابس التى خلعتها ، افتح ، اسرع .

ابو الفضول : باب الموت يا يوسف . صعب على أن افتح الباب. لهلاكك .

يوسف : افتح وإلا هلكت أنت .

أبو الفضول : ترى كيف شكلها التى أدارت رؤوس بغداد ؟ كيف تحبه هـــذا الغريب ؟ ( يفتح الباب ويتطلع بشغف). ما رائحة غلالتها ؟ ما رنة صوتها ؟ (لحظه سكون)

يوسف : ياسمينة !

أبو الفضول : أنت عدت ياست ؟ مرحى بك ، تفضلى . لاتخافى .

(تدخل شفيقة وهى تجذب ياسمينة خلفها . ياسمينة مترددة وخائفة )

شفيقة : لا تخافى ياحبيبتى . سنرى من يكون ، من ؟ أنت؟! يا واقعتك يادى الرجل ! انت ؟ !أين سيدك؟أرنى .

( تتقدم ياسمينة وترفع نقابها فيشهق الحلاق )

أبو الفضول : يانور النبى !

شفيقة : لا تخافى يا حبيبتى. كفك باردة . أرنى أين هو !

يوسف : (من وراء الساتر ) احم ! احم !

أبو الفضول : أهه ! ( مشيرا للساتر )

شفيقة : ( تنظر وترتد ) يا خرابى ! ماذا فعلت بسيدك ؟

يا سمينة : ( تبكى من فورها ) ماذا جرى له يادادة؟ أصابه سوء؟

شفيقة : والله لا أتركك حياً يا مجرم .

أبو الفضول : خبر إيه يا ست ؟ مالك ؟

يا سمينة : أصابه سوء؟ سمعت حشرجة . ( تحاول التطلع. يوسف ينكمش متراجعا )

شفيقة : لا لا لا . . لا تنظرى يا ضناى .

يا سمينة : لماذا لا أنظر يا داده ؟ أهو مذبوح ؟

شفيقة : تفى من فمك يا بنتى، كفى الله الشر. لا تنظرى وخلاص.. هكذا تفعل بسيدك يا عديم الشرف .

أبو الفصول : الله !

يوسف : ( محنقا من خلف الساتر ) آه.

يا سمينة : صوته . دعينى أنظر ماذا فعل بحبيبى ؟

شفيقة : واخجلتاه يا ضناى ؟ ماذا أقول لك . لا تنظرى..

أبو الفضول : الله . ماذا فعلت ؟ خلها تنظر ياست ، الرجل عندك صاغ سليم .

شفيقة : ( صارخة ) عارياً ؟ !

ياسمينة : ياني ! وعرّاه؟

أبو الفضول : عراه إيه ياست؟ ماتنطق يا يوسف. قل لهما إنك حي.

شفيقة : ( تلتقط قطع الملابس من فوق الأرض ) خد ياسيدي، خذ ياضناي، ألبس يا حبيبي.

أبو الفضول : ( مذعورا قليلا ) خلاص، لا أريد منكم شيئاً. كلكم ضدي. أنا الغلبان. لم تنتصح فافعل ما شئت. هذه الجارية لا تعرف مصلحتك. القاضي سيعرف.. سيعرف.. ( يظهر يوسف من خلف الساتر فيهرب الحلاق داخل الصندوق ويغلقه على نفسه. يحكم عليه يوسف الرتاج وهو يدق بجماع قبضتيه فوق غطاء الصندوق المغلق ظاهريا المفتوح فعلا، ويجأر من بين أسنانه « فلتختنق! فلتختنق! » ثم يلتفت منهكا الى ضيفتيه وشفيقة تلم ملابسه من فوق الأرض )

ياسمينة : يا حبيبي! وجهك أصفر. انت جريح؟

يوسف : جداً! بت أحلم الليالي الطوال بلقائنا.. لم أتصور أبدا أن نلتقي فوق كومة من الملابس والأثاث المضطرب، أنت صفراء من الذعر، وأنا أنتفض من الغضب.

ياسمينة : ( مرتعشة ) يا حبيبي.. نحن نلتقي على أية حال. ماذا حدث لك؟

يوسف : لا تسأليني .

شفيقة : أعد لك متاع السفر .

يوسف : شفيقة ! أخرجي من فورك . إبرحي هذا المكان في التو ، لا تلمسي أي شيء .

شفيقة : أتوسل إليك ، لا تفرقني عن حبيبتي . دعني أخدمكما . خلني أسافر معكما . لا تفصلني عن وحيدتي .

ياسمينة : يا حبيبتي ، يا أماه ، كما يلذ لك أن أسميك .. يعلم الله كم يؤلمني أن أفارقك . ان قلبي ينشطر شطرين ، ونفسي تنقبض لذلك . ولكني أتوسل إليك أن ترحلي ولا تناقشيني من جديد .

شفيقة : ( تبكي ) يعز علي أن أفارقك . ( ترتمي كل منهما في صدر الاخرى )

ياسمينة : الوداع ياشفيقة ، يا أمي ، ياحبيبتي . ادع الله لي . الوداع .

يوسف : ( يشيح بوجهه ) ...

شفيقة : سأودعك ( من خلال دموعها ) ولكن لا تنظري إلي وأنا خارجة حتى لا يضعف قلبي . أديري ظهرك . الوداع ياحبيبتي . ( تقبلها ثم تلحق ياسمينة بيوسف . شفيقة تغلق الباب بقوة ، وتغافلهما وتختبيء خلف الساتر ) .

يوسف : أخيراً . . وحدنا .
ياسمينة : (وقد عاودها الخفر) خرجت .
يوسف : سأعيد تنظيم الغرفة .
ياسمينة : آه !
يوسف : حبيبتي . .
ياسمينة : خيل إلى أن الساتر يهتز .
يوسف : لقد رأينا ما يكفينا ليوم واحد . ما أحمقني ! ما الذى يدعونى لترتيب البيت ؟ العالم كله فوضى . أن ننسحب منه خير من أن نحاول عبثا إعادة تنظيمه .
ياسمينة : يوسف . . أنا خائفة .
يوسف : من المجهول الذى ندلف إليه ؟
ياسمينة : لا لا . بل .. واخجلى ! منك .
يوسف : أقسمى لى يا ياسمينة انك فكرت مليا ، بعقلك لا بقلبك ، فى الرحيل معى .
ياسمينة : عقلى لم يعد معى . ولكنى قد عولت على قلبى . وأقسم لك بكل عزيز ، يا أعز شىء عندى ، أنى أثق فيما دعوتنى إليه . .
يوسف : لقد عافت نفسى معايشة الناس . ابتذلوا حياتنا ودنسوا أشياءنا . كرهت الغدر والظلم والسوقية والرياء . . العالم ركام قذر ! الأنهار تجرى فى كل



أرض ، ونحن نجف من الظمأ ! الشمس تشرق كل يوم ، ونحن نتخبط طول حياتنا فى الظلام !

ياسمينة : ما أعذب ما تقول وما أقساه . أنا أيضاً كرهت جسمى واستغثت بكل ما هو روحى شفاف . دعنى أرحل عن هذا العالم طاهرة .

يوسف : رأسى يدور . دعينى ألمس يدك .

ياسمينة : لا تلح على ، فما أستطيع أن أعصاك .

يوسف : ألثم ردائك .

ياسمينة : أغثنى من نفسك يا يوسف .

يوسف : يشق علىّ أن ألوث طهرك مع ذلك .

ياسمينة : هيا وعجّل.

يوسف : آه مما نعانى . . لحظة ونفيق إلى الأبد ، لحظة ونثوب إلى الخلود ، لحظة ثم اللقاء الأبدى . .

ياسمينة : لن نفترق أبداً .

يوسف : ( بيد مرتعشه يصب الشراب من الابريق فى الكأسين ، ويقدملها كأسها) مازلت خائفة ؟

ياسمينة : ( بصوت مرتعش ) لا .

يوسف : لا تترددى . . تعالى .

ياسمينة : (بصوت منخفض جداً ) أين ؟

يوسف : مرقدنا . سرير العرس .

ياسمينة : ( مترددة ) نرقد ؟

يوسف : بعد لحظة سينتفى كل سبب لخوفك .

ياسمينة : أيغفر الله لنا ؟

يوسف : من أحب فعف فمات ، مات شهيداً .

ياسمينة : أنصبح شهداء ؟

يوسف : شهداء هذا العصر .

( يخرجان بالكأسين والمسرجة فيخيم الظلام ونظل نسمع

(صوت يهما من الخارج بعد أن اسدل يوسف ستار الغرفة الداخلية. يطل الحلاق وشفيقة من مخبأيهما . لا يرى احدهما الآخر)

ياسمينة : (من الخارج) أهذا الشراب مؤلم ؟

يوسف : (من الخارج) على الاطلاق .

ياسمينة . (من الخارج - تتنهد) آه .

يوسف : (من الخارج) لا تخافى .

ياسمينة ; (من الخارج) ابتعد قليلا يا يوسف .

يوسف : (من الخارج) أريحى رأسك على الوسادة .. اهدئى يا حبيبتى !

ياسمينة : (من الخارج) أحس أنى مسافرة فى عالم مسحور .

يوسف : (من الخارج) أنا معك ، يا أحب شيء عندى .

أبو الفضول : (يطل من الصندوق هامساً) لا أكون أبا الفضول ولا اسمى باسمى إن لم يكن هذا زنا .

شفيقة : (تطل من خلف الساتر هامسة) يا خرابى! بلا زواج .. بلا زواج !

أبو الفضول : (بصوت خافت) هلك الولد وهلكت البنت معه .. صحّ ما توقعت . خسر الدنيا والآخرة. خسر الحب

والحياة وضاع بلا رجعة . يا هوه !

شفيقة : ( همسا ) قتلنى أبوها ومزق جثتى . . أنا السبب . أنا السبب . يا خرابك يا شفيقة .

أبو الفضول : ( متسمعا ) إه ؟ ماذا قالت له ؟ أخال القاضى مختبئاً تحت السرير ما أخبثه . . يفوته هذا الأمر ؟ لن يفوته . والوزير ؟ سيظهران فجأة . ذبحاهما .

شفيقة : ( همسا ) ماذا يقول لها ؟ إه . أبوها لن يعرف ؟ سيعرف ! والله سيعرف ! إنه هنا . ينظر بعينيه ويسمع بأذنيـــه . . أكاد أراه . قتلنا كلنا ! يا خرابى !

أبو الفضول : ( بصوت خافت ) ماذا تقول له ؟ سأوقفه . . سأنقذه قبل أن يقع الفأس فى الرأس . والله لأدافع عنه حتى الموت .

شفيقة : ( منصتة ) ماذا يقول لها ؟ سأمنعه قبل أن يضيع عمرنا جميعاً ( يخرجان من مكمنيهما ويتسللان فى هدوء ثم يصطدمان وسط المسرح )

أبو الفضول : ( يفزع بشدة ) قتلوا سيدى !

شفيقة : يا دهوتى ! ( تثب إلى الشباك وما أن تفتحه حتى تسمع دقة طبل موكب رسمى ) إلحقونى ! قتـــلوا سيدتى !

السفاح ! ضاعت حياتها . يا خرابي !

أبو الفضول : ( يثب إلى الشباك الآخر يفتحه ) قتلوه ! ياهوه !! الحقوني ! قتلوهما ! النجدة !

( تنفخ طبول الموكب . هرج ومرج . تتوقف الطبول . يفتح الباب على مصراعيه وتبدو من فرجته جماهير مختلفة الأزياء والأعمار يفسحون الطريق ليتقدم إلى وسط المسرح الخليفة ، ومن خلفه الوزير ، وخلفهما القاضي . فالسياف )

الخليفة : اغلق الباب يا مسرور . فلنضبط هذه الواقعة في هدوء .

مسرور : مولاي . ( مسرور يغلق الباب ويقف عنده منتبها )

شفيقة : ( لاتلحظ أنها في حضرة الخليفة فتمسكه من كمه وهي مهتاجة جداً وتتحدث بسرعة دون أن تلتفت إليه ) هنا يا سيدي . كان هنا ومعه موسى يشهرها عليه . يقصد سيدي يوسف ابن شبندر تجار الموصل . وما أن صرخت : « يا خرابي ! يا خرابي ! » اختبأ مني . جرى من هنا ( مشيرة إلى ناحية الشباك الثاني )

أبو الفضول : ( في نفس الوقت ممسكا بالوزير من كمه ويتحدث بسرعة دون أن يلتفت إليه ) من هنا يا سيدي . سمين كغولة نافشة شعرها . . أسود مخيف . يقصد يوسف ابن شبندر تجار الموصل . . ما أن رآني

حتى صرخ وجرى من هنا ليختبئ .

( يصطدم الاثنان فى وسط المسرح فينتفضان ويهتف كل منهما للاخر « أنت ! » )

القاضى : يا إلهى ! لا أصدق عينى ! اسمح لى يا أمير المؤمنين. اسمح لى يا سيدى الوزير . أخاف أن تكون قد حلت ببيتى مصيبة.. فهذه المرأة جاريتى. وهذا الرجل خصمى .

شفيقة : (تتنبه لسيدها والخليفة) يا مصيبتى ! (تتراجع مذعورة جدا)

أبو الفضول : ( فى نفس الوقت يتنبه للموقف) القاضى ! يادى الداهية !

( يدخل الصندوق من فورة ولكن القاضى يخرجه )

الخليفة : ( للقاضى ) حقق بنفسك .

القاضى : لا أكاد أصدق . ماذا تفعلين هنـــا ياشفيقة ؟ أين سيدتك ؟ تكلمى !

شفيقة : ( تتلعثم ) لست أنا . . ليست هى . . يا خرابى !

( تسقط على الارض )

القاضى : تكلم ! ألست أنت حلاق السوق ؟ ماذا تفعل مع جاريتى يا شيطان ؟ هه ؟ فى ساعة الصلاة تتطارحان الغرام ؟ !

أبو الفضول : ( يتعلثم ) لست أنا ! لا أعلم . . ضاعت حياتى هذه المرة ! يادى المصيبة.

الخليفة : ( بصوت لا يخلو من استمتاع بطرافة الموقف )
يا للصدفة ! جارية القاضي وحلاق السوق أو السوء لم أتبين بالضبط . ما رأيك يا وزير ؟ أهما في حالة تلبس ؟

القاضي : ياضيعة شرفي ! يا مصيبتي بك ! أتعقبتني لتنتقم مني ؟ ويلك !

الوزير : يحسن يا مولاي أن نبحث هذا الأمر بحثا أدق . فهذان الشخصان كانا يستغيثان ويصرخان : القاتل السفاح .. وهذا ليس شأن العشاق في خلوة الغرام عادة .

الخليفة : يا ذكاءك يا وزيري ! هو ذاك .

القاضي : ( كالمستغيث ) إذن لم تلوث شرفي ؟ لم يكن بينكما مواقعة ولا غرام ؟



شفيقة : أقسم ياسيدى .
القاضى : ( يتنفس الصعداء ) ما الحكاية إذن ؟ تكلمى. تكلم.
شفيقة : ( تبكى بحرقة ) لا شىء .
أبو الفضول : لا شىء أقسم ياسيدى - لا شىء البتة .
الخليفة : ( يضحك ) لغز ! إقترب موعد الصلاة فلنجرب ذكاءك مرة أخرى يا وزير .
الوزير : أرى أن السر كله يكمن خلف هذاالستار يامولاى.
الخليفة : مرحى ! مرحى ! لماحاً كعهدى بك ! ماذا تظن يرقد خلف هذا الستار ؟ جثة مزقها سفاح ؟
الوزير : أخشى أن نجد جسدين لا جسدا واحداً .
الخليفة : ( منزعجا ) قتيلين ؟
الوزير : بل عاشقين .
شفيقة : أبداً ! أبداً ! ليس هنا أحدغيرنا نحن الاثنين. اقسم. ( تنهمر دموعها بشدة )
أبو الفضول : ( فى نفس الوقت ) لا أحد . . لا أحد . . والله . . أبداً . . أبداً . .
الخليفة : عجبا ! دعنا نسترسل فى الأمر لنهايته . من تظن العاشقين يا وزير ؟
الوزير : الرجل اسمه يوسف . وهو ابن شبندر تجار الموصل كما ذكرت المرأة وذكر الرجل . أما عشيقته فلا أطيق أن أذكر اسمها يا مولاى ، فإن مصيبتى بها

لا تقل فداحة عن مصيبة أبيها .

القاضي : (لاهثا) ماذا تعني ؟

شفيقة : يا داهيتي ! غير صحيح . اقسم . أتوسل إليكم . في عرضك يامولاي .

أبو الفضول : لم أر شيئا . لا شأن لي . والله أنا رجل غلبان . كنت مارا فقط . أنا حلاق ياسادة ، أقصد حمال يعني ، أعول سبعة عيال . .

الخليفة : ( متسليا جداً ) أتعتقد أننا منحناهما الفرصة الكاملة للافلات من حالة التلبس ؟

الوزير : لن يستطيع القاضي أن يحكم برجمهما الآن .

القاضي : ماذا تعني ؟ من تعني ياسيدي ؟ والله لأمزق جسديهما بيدي . وامصيبتاه ! ويلاه ! وافضيحتاه ! لو كانت لهما عشرة أعمار ، وألف قلب، وبحر دماء ، ماشفي غليلي منهما قتلهما كل صباح مدى الحياة . . آه ياجارية السوء .

الخليفة : رويدكم . الأمر خطير فيما يبدو . مسرور افتح الستار .

( قبل أن يتحرك مسرور يفتح الستار ويبدو من فرجته يوسف مصفرا ومن خلفه ياسمينة منكمشة ) .

يوسف : أخطأت ياسيدي الوزير . فلم يكن خلف الستار جسدان بل جثتان .

الخليفة : تقدم يا يوسف إن كان هذا اسمك . . صه! سأتولى أمره بنفسي . ما حكايتك ؟ جئتي من تقصد ؟

يوسف : أنا ويا سمينة بنت قاضي بغداد . ( ياسمينة تخبيء وجهها والجو يتوتر )

الخليفة : انتما ميتان ؟ !

يوسف : بعد لحظة واحدة سنسقط ميتين . فقد شربنا السم من هذا الابريق .

أبو الفضول : أ . . ت . . . سم . . . ب . . .

شفيقة : ( تدق صدرها وتتأوه ) رأيتهما بنفسي يشربان ارأيتهما بنفسي يشربان !

القاضي : ياسمينة . .

الوزير : فعل شنيع !

يوسف : أشنع من أن يتزوج شيخ في الستين بابنة السبعة عشرة ؟

الخليفة : من ؟ يتزوج من ؟

يوسف : وزيرك يا أمير المؤمنين . يتزوج بهــــذه الياسمينة الصغيرة !

الخليفة : ( ضاحكا ) هل تخصصت في بيت القاضي ياوزير ؟!

الوزير : مولاي . . صدقت رواية العامة .

يوسف : اسأل وزيرك . . اسأل قاضيك .

الخليفة : ( للوزير والقاضي ) أهذا حق؟

الوزير : لم أكن لأتزوجها رغما منها .
القاضى : كان سيدى الوزير سيتزوجها أما هذا الولد فقتلها غيلة وحق عليه الحد .
يوسف : أنت قاتلها وقاتلى .
الخليفة : مهلا ! مهلا ! على بطبيب يا مسرور .
مسرور : أمر مولاى. ( يفتح الباب ولكن الحلاق يتدخل )
أبو الفضول : اسمح لى يا مولاى . كلمة قبل أن يذهب مسرور .
الخليفة : تكلم .
أبو الفضول : أتزوجهما لو نجيا ؟
الخليفة : ما هذا السؤال ؟
أبو الفضول : خير لهما أن يموتا الآن بالسم . . من أن يموتا موتا بطيئا بتباريح الهوى و الحرمان .
الخليفة : هذه ارادة الله . إذا نجيا تزوجا .
أبو الفضول : يجب أن يوافق أبوها .
الخليفة : ما رأيك ؟
القاضى : أمر مولاى .
الخليفة : وأنت ؟
الوزير : نزلت عند رغبة مولاى .
يوسف : آه .. وا أسفاه على ما ضاع !

أبو الفضول : زوجهما الآن .. فقد كتب الله لهما حيـــاة ثانية .. لن يموتا .. أنا الذى كنت سأموت .

الكل : كيف؟ !

أبو الفضول : كيف ؟ ! كاد دمى يجف . أفزعتمونى فزعا شديداً .. يا إلهى حكمتك !

يوسف : ما الأمر ؟ ماذا فعلت ؟

أبو الفضول : ألم تلحظ يا سيدى انك ما شربت إلا ماء زلالا مصبوغا بصبغة الشعر .. لقد سرقت الشراب المسموم وأنا أرغى الصابون .

الكل : سرقت السم ؟ !

أبو الفضول : ظننته والله شيئاً مما يقوى الرجل على العشق .. سرير عرس ، وموعد غرام ، وشراب يرقبه صاحبه بحرص وتدقيق ! !

( الخليفة يقهقه عاليا وشفيقة تهتف : « يتيلك ! » ثم تتدارك فتخفى وجهها وهى تضحك . ياسمينة يداهمها فجأة شعور بالخجل والحياء الشديدين ، بينما يستشيط يوسف ويهتاج ) .

يوسف : أنت أيضاً ! ! أى جريمة لم ترتكبها يا خبيث ! أى زبون لم تعرى ، أى متاع لم تسرق ، أى سر لم تهتك ، أى عرس لم تتطفل عليه ، أى مأتم لم تفسد ؟ ! أنت دائماً أنت يا حلاق السوء .

أبو الفضول : ايه ! إحمنى يا أمير المؤمنين . . الحق على أنا . أنقذت حياتك . سمك آهه . . اشربه . تفضل . ( يسكب القارورة على الارض )

الخليفة : ( مستمتعا جدا ) ها نحن قد صنعنا خيراً قبل أن نذهب للصلاة . تعال معنا يا يوسف . دع عروسك الآن ولنتوجه لله بالشكر على ما وفقنا إليه . هيـــا بنا . يجب أن يملأك السرور يا وزيرى وأنت يا أبا يا سمينة للصدفة العجيبة التى وفقتنا لهذه النتيجة . وأنت يا يوسف . . لقد عرفت فى بغداد شبابا أقل منك بأساء وهؤلاء لا ينتحرون ، بل يطمحون لاصلاح هذا العالم . ليس فيهم رقة الصبا والسذاجة التى فيك . يحق لك أن تنعم بهذه الميزة .

يوسف : شكراً يا مولاى . إن عدلك وسماحة نفسك قد جعلانى أكثر تفاؤلا بالحيـاة وحباً للناس ، ( لياسمينه ) ولك يا حبيبتى .

القاضى : لقد دبرت كل شىء يا مولاى ، وأنا نزلت عند رغبتك . ولكن بقى شىء . هذا الولد الحلاق فضولى جداً ، إرتكب من الحوادث والمخالفات ما ينوء رجل واحد بحمله . ولكن كل ما ارتكبه يهون بالنسبة لما

سيرتكب . فوالله أنى لأراه قاطعا بغداد بالطول والعرض يلوك سيرتى ويحكى حكاية ابنتى ويسىء إلى شرفى وسمعتى .. فإن فضوله لا ينفع معه حد ..

أبو الفضول : أنا ! ؟ أنا الفضولى ؟ ! أنقذت حياتين وزيجة ، وبرضاك أنا الفضولى ؟ ! أنا الطفيلى ! ؟ أنا ...

شفيقة : يخيبك رجل ! إمال من ؟

أبو الفضول : فما رأيك أنت ياسيدى القاضى فى دار القضاء ، التى لا تدع لى سبيلا إلى ذقن زبون إلا إذا دفعت الرسم ، وحصلت على الإذن ، واستخرجت رخصة ؟ !

« ستار »

# زينة النساء



شخصيات المسرحية :

| | |
|---|---|
| أبو الفضول | الحلاق . شحاذ الآن |
| زينـــة | أرملة وحيدة |
| جانـار | جارية زينـــة |
| الحافظ عبد الحفيظ | أمين سر محكمة بغداد |
| شهبندر التجار | |
| الخليفة | |
| الوزير | |
| القـاضى | |
| مسرور السياف | |

المـكان : .. بغداد الخيالية

الزمان : .. بعد واقعـــة الحلاق الأولى بأسبوع أو بشهر كيف شئت

## مقدمة

أبو الفضول : ( وحده على المسرح . يخاطب نفسه . والمنظر محايد تماما )

كل رجل شكوت له همى ، وشرحت له بلوتى ، قال لى : « كنت مقيما مستريحا فما ضرك إلا فضولك » . والله إن هذا أعجب العجب ! يا ناس ! ياعالم ! يا هوه ! أنا الفضولى ؟ ! هل آذيت أحداً ؟ سرقت ؟ نهبت ؟ قتلت ؟ أبدا . ومع ذلك جرّدنى القاضى الظالم من رخصة الجمال . تقولون لأى سبب ؟ أنا أيضا أريد أن أعرف . « لا تحلق ذقون الناس ! » قلنا طيب . « لا تحمل أمتعة الناس ؟ » الله ! ماذا أشتغل ؟ أشحذ ؟ أشحذ على آخر الزمن ؟ عشاؤنا عليك يا رب !

أنقذت حياتين وزيجة . أنقذت حياة يوسف وياسمينة وزوجتهما . ولكن من يحمد ومن يشكر ؟ حتى سيدى يوسف الذى جعلنى الله سببا لنجاته وزواجه من معشوقته ، قد جعله الله لحكمة لا يعرفها إلا القاضى ، سببا لضياع رخصتى التى تؤهلنى لحمل أمتعة الناس والارتزاق . ومع ذلك أنكرنى يوسف وأبغضنى !

عشرة أفواه فى بيتى تطلب الخبز ، تطلب اللحم أخزاها الله ، ولا رخصة عندى . وكلما قلت للمرأة التى فى البيت : «لم تعد عندى رخصة ياولية!» تقول : «أنت الذى وضعت رأسك فى الجراب !»

أنا ؟ فعلا . صحيح . بالضبط . أنا الحق على . الحق علىّ أنا . مالى وللناس ؟ مالى وللعالم ؟ إن شاء الله يخرب!... فضولى! حشرى الا ترجع عن إنسان حتى تعرف بليته ؟! إنت مالك ! دع الخلق للخالق . دع القتيل يُقتل والضائع يضيع ! . .

هكذا يقولون لى . .

مع أنى لا أقصد إلا الخير والله . الخير يلحّ علىّ

ويسحرنى ويزجنى . . دوائى وشفائى هو أن أهب للنجدة ... ثم أجد نفسى فاقداً الشغل فاقداً الرخص !

أريد من يضربنى على رأسى كل صباح ويقول لى: « لا شأن لك بغيرك . إشتغل كالاعمى أو خذ على دماغك » .

آه ! اختلفت علينا الرياح وأظلمت السماء. فى باطنى جرح ، وجرح ، وجرح . وقعت الجراح على الجراح . . وليس فى كتب الأولين وسير الملوك المتقدمين وأخبار الأمم مصيبة كمصيبتى ، ولا جريمة كجريمة القاضى الذى سحب رخصتى بلا وجه حق . أى والله . إن قطع الطريق عند الله أهون من قطع الرزق . هكذا فى الكتب الصحيحة .

مظلوم ظلم الأوائل والأواخر. ولكن من يسمع ومن يرى . لقد انقلب حال الدنيا ، وبعد أن كان الفضول مشتقا من الفضل والفضيلة . . أصبح جريمة خطيرة !

لذلك سأتوب. سأتوب عن الفضل والفضول معا. أمرى لله . أمركم لله يا مكروبين ويا مأزومين .

لا يسألنى أحد عونا ، لا يستغيث بى أحد . لو خربت الدنيا لن أمد يدى. وأنا مالى . على رأيك ، خليها تخرب .

ها أنذا أشهد الله ، أنى أنا أبو الفضول الحلاق الجمال الشحاذ ساكن الجارة الجوفانية . . عاهدتك يارب : إذا رأيت رجلا فى ورطة ، أو سيدة تسح دموعها ، لا أسألها مالك، ولا أسأل نفسى مالها. إذا استغاث بى صبى يغرق فى دجلة أو استغاثت صبية ـ مهما كان جمالها ـ وصاحت علىّ : «الحقونى!» .. لا أمد لها يدى .

عاهدت الله لا أسأل ولا أتساءل .

سأضع عصابة على عينى لا أرى. وأسد أذنى بالخرق لا أسمع . وأروض فمى لا ينطق إلا : « يجعل بيوت المحسنين عمار يارب العالمين ! » إمضاء : أبو الفضول. ( ولكنه يبصم فى الهواء لا يوقع باسمه ) هه!

المنظـــر : بهو بيت عربى متوسط الثراء ، وغرفة داخلية صغيرة إلى يسار البهو توصل إلى داخل الدار ، وما يلى باب الشقة القائم فى الحائط الأيمن من بعض درج وبسطة . المنظر مقسم بذلك إلى ثلاثة أجزاء . . ولكنه مقسم بلباقة ورشاقة ، تقسيما لا يكاد يحس فيه افتعال . البهو هو الجسم الرئيسى للمنظر . وفى صدره شبا كان عربيان عريضان يطلان على الطريق وقد حسرت عنهما الستائر . وفى وسط البهو أريكة عربية مريحة تحوطها مقاعد ووسائد وأمامها سجادة. وعلى الحائط الأيمن دولاب عربى عال وله مرآة عظيمة . . يليه باب الشقة تحت عقده التقليدى . وقد يواجه الدولاب فى الجانب الأيسر مرآة كبيرة وأصص زرع أو زهور صناعية . وفيما قد يحلو لمصمم الديكور إضافته من زينة أو زخرفة يحسن

أن تتأكد لمسات أنثوية أنيقة تدل على ذوق حسن وطراوة وأنس .

أما ما يلي باب الشقة فلا حاجة بنا لأن يكون على رحابة . فإننا لنقنع منه بما يكفى لوقوف رجل ظاهر يطرق الباب . ويحسن أن يكون موضع الباب وخارج الباب هو زاوية أسفل يمين المسرح . أما جزء الغرفة الداخلية عن يسار المنظر فيحسن أن يقابل الباب أسفل المسرح أيضا ، وأن يكون محـــدود المساحة قليل الشأن . إن هذه الغرفة الداخلية هي همزة الوصل بين البهو وسائر البيت ، وقد تكون مرتفعة عن البهو درجة أو منخفضة درجة ، يفضى إليها عقد ينسدل من أعلاه ستار نصف مفتوح . لا يهم أن يكون بها أثاث ظاهر ، اللهم إلا أريكة ضيقة ممتدة بطول أحد حوائطها غير الظاهرة بكليتها للناظر من الصالة بالطبع .

ويحسن دائما أن تختلف درجة الإضاءة أو لونها فيما بين أقسام المنظر الثلاثة حسبما يقتضى الموقف ، وبما ينسجم مع طبائع الأشياء ، لتأكيد انفصال هذه الأقسام عن بعضها .

فى البهو سيدتان: «زينة» صاحبة البيت، وجاريتها «جلنار». زينة هى أكمل نموذج للجمال العربى ولسحر وفتنة الأنوثة العربية الناضجة. وهى أرملة فى قمة الشباب، لا تخلو من مكر. إلا أن مكرها يكاد أن يخفيه هنا شرف القضية التى تدافع عنها بكل ما أوتيت امرأة من قوة وجلد على الدفاع. جلنار أكبر منها سنا ولكنها ليست بعـــد فى السن التى تطمس آثار الجمال الشركسى الغارب. وهى أقل ذكاء من سيدتها، وأميل للخضوع للأمر الواقع رغم عجزها عن التصريح بذلك، تحوطا من غضب سيدتها، وتمسكا بأمل ضعيف فى تدخل العناية الإلهية فى اللحظة الأخيرة.

الوقت ضحى.. والمدينة بغداد.





زينة : أنا التي لبست خير الثياب ، وتحلّت بأغلى الحلى . أنا التي تزوجت أحسن الرجال ، وسكنت أرقى الأحياء . . أهون ، أذل ، حتى لا أستطيع أن أدفع عن بيتي ذئبا مغيرا ! لا أملك من جسدي ومن روحي شيئا ! الموت عندي أهون من استقبال أمين سر المحكمة . سأفضحه الفاسق . كيف يجرؤ ! سأصرخ وألم الجيران . سأقول: «امسكوا حرامي !» . حتى تتزاحم الناس علينا من الشبابيك ومن الباب . لتضبطه متهجما على بيتي . .

جلنار : الله يسترك ويفضحه يا سيدتي . ولكنه هو الذي سيفضحنا إن فعلت . .

زينة : كيف ؟ في بيتي ويفضحنا ؟

جلنار : لمّح لى بذلك الكافر .

زينة : جلنار ، لم تقولى لى .

جلنار : لم يطاوعنى لسانى أن أنطقها .

زينة : تكلمى . ماذا أخفيت عنى ؟

جلنار : قال لى ان الخليفة قد عهد إليه بالتفتيش عن بيوت النساء . . ال . . المفضوحات يعنى ، وأن يتجسس عليهن ولو متنكرا فى غير هيئته . وقال الله لا يهنيه أن بعض الناس تقوّلوا على بيتنا . . يقولون سيدة مات عنها زوجها منذ عام ولا أحد معها فى البيت إلا جاريتها ، وهى زينة بغداد حسنا وجمالا . . قلت له : بره وبعيد الله يقطع ألسنة السوء . فقال : أرجو أن تحسن سيدتك استقبالى غدا ، اليوم ، الآن .. وغمز بعينه الملعون .

زينه : ( فى استنكار وخوف ) هل يجرء أن أنا صرخت ، أن..

جلنار : إلهى لا يعى يتكلم .

زينة : يقول للناس أنه إنما جاء يضبط . .

جلنار : إلهى ينتقم منه .

زينة : لكى أنجو إذن من تهمة فسق ملفقه ، يتعين على أن أفسق فسقا كامل الشروط ! . . أهو الذى يكل إليه الخليفة تطهير بغداد ؟ . .

جلنار : نحن ولايا ياسيدتى ، وليس لنا فى بغداد رجل يقف لنا .

زينة : سأقول للقاضى .. للوزير . للخليفة نفسه . سأصرخ عليه فى موكبه استوقفه . .

جلنار : الله وحده سيصدقنا ، لأنه يرى ، أما الحكومة فتصدق بعضها .

زينة : كل هذه المصائب لأن زوجى ائتمن شبندر التجار على ثروته ولم يأتمن زوجته . .

جلنار : يرحمه الله .

زينه : سنة وأنا أسعى هنا وهناك بلا فائدة. التراضى ما نفع، والتقاضى أوقعنا فى أمين سر المحكمة . ماذا أفعل يارب ؟

جلنار : لعل الله أن يهدى الشبندر إذا كلمناه .

زينه : لا فائدة يا جلنار . لا ينى يقول : « هل لك فى مواصلتى وأكفيك الحاجة » .

جلنار : الله يقطعه هو وأمين سر المحكمة . كل الرجال سواء . .

زينه : أى شىء يستر من لا مال له؟ ألف دينار أودعها زوجى عند الشبندر ، ولا لقمة فى البيت. انقضت سنة أكلنا فيها حلىي وملابسى وكدنا نأكل أثاث البهو بعد الغرف الداخلية . وبعد هذا وذاك عرضى . .

آه ! هل يجازينا الله عن ذنب نسيناه ؟

جلنار : وحق من جعل لك اسما على مسمى : زينة بحق .. ليس ذنبا جنيناه ، ولكن جمالك هو الذى أغرى الشبندر وأمين سر المحكمة ، وما لا نعلم من الناس . جمالك يازينة الستات .

زينة : كان جمالى يجعلنى اختار من كل شىء ما أشاء ، والآن يحملنى على أن استسلم لمن يشاء !

جلنار : لا قدر الله .

زينة : ما الذى يغريهم بنا يارب ؟ هل أنا متبرجة ؟ هل أتزين أكثر مما تقضى أصول الحشمة ؟ أبى ما يغرى كل من كان بمطارحتى الغرام ؟

جلنار : اسم النبى حارسك . وجهك يبهر الناسك والعابد ، ولا تريدين أن تصونى ما حباك الله من جمال .

زينة : أنا ؟ لا أصون جمالى ؟

جلنار : أما كنت سمعت نصيحتى ياسيدتى وتزوجت ؟

زينة : ( بعصبية ظاهرة ) أتزوج بلا شهية ؟ أتزوج الصبى الأبله ؟

جلنار : ابن أمير ومفتون بجمالك ، اسم الله عليك .

زينة : أتزوج العجوز المزواج ؟

جلنار : أغنى أغنياء البصرة . كانت على ذمته ثلاث زوجات ولكن ماله كثير وربنا أعطاه .. الله يرحمه . كنت ترثين .

زينة : لا تفهميني يا جلنار ، أنا عنيدة ! لا اتنازل قيد شعره. ليذهب جمالي في الزوبعة، ولكنني أظل عنيدة.

جلنار : وقاك الله السوء .

زينة : لن أدع أحدا يبتذلني . إذا دخل أمين سر المحكمة الآن سأقتله أو أقتل نفسي.. سيان عندي.

جلنار : كفى الله الشر ياسيدتي. الموت أحسن عندك من الزواج؟ كنت تزوجي رجلا يحميك . ظل رجل ولا ظل حائط ، هكذا يقولون .

زينة : أين أجد هذا الرجل ؟ لا أريد صبيا مدللا أو عجوزا ثريا . لا تهمني الثروة أو الجاه . تهمني الرجولة . الشهامة . : رجل يغريني بفتوته وأقدامه . يحميني ـ لا بماله وجاهه وأعوانه ـ وإنما بقلبه الجسور المحب. ليس كزوجي السابق يودع ماله عند الشبندر لأنه يخاف بدواتي ولا يثق في عواطفي ، وإنما يودع ماله عندي وهو على تمام الثقة من خضوعي وانصياعي لمشيئته . رجل يفرض على سيادته . رجل ! أين هو ! أحلام أبعثرها في البيت ، والبيت ستلتهمه النار بعد دقيقة . .

( يرتقي أبو الفضول درجات السلم المفضية الى الباب ويطرقه. العصابة على عينيه ، والخرق في أذنيه ، وعلى ظهره خرج

عظيم الحجم الا انه فارغ تماما . انه يطرق طرق من يستنكف من عمله الجديد . شحاذ ، ليكن . . ولكنه لم يفقد أبدا حيويته واعتزازه بذكائه. الا أنه الآن يكاد يكون فى أسوأ حالاته . وما أن يطرق أبو الفضول الباب حتى تقفز السيدتان وقد تملكتهما حالة توتر عصبى . لحظة سكون لا يفوت أبا الفضول فيها أن ينصت بأذنه المحشوة بالخروق. وراء الباب وينتظر . ثم سرعان ما ينفد صبره فيطرق طرقا أشد . . )

زينة : الآن . . ها هو . إن كان لا مفر لى من ذلك ، فليغفر الله لى . ( تستل سكينا من طيات ملابسها )

جلنار : ( تصرخ ) يا خرابى . سيدتى . لا تغضبى الله .

زينه : أغضبه فى هذا خير من أن أغضبه فى ذاك .

جلنار : ( تطوقها ) رحماك يا سيدتى . انتظرى حتى نكلمه .. نحاول أن نردّه بالحسنى.

زينة : ( تصرخ بقصد أن يسمعها الواقف خلف الباب . والواقف خلف الباب قد أخذته الدهشة من الصياح ، وقرب أذنه المحشوة بالخروق من الباب ) ما جريرتى أقول لك ؟ أجريرتى أن شبندر التجار سرقنى وراودنى فجئتك ألتمس رفع قضية عليه ؟ والله لو كنت لجأت للخليفة نفسه لعله كان طمع فىّ . . لم يعد فى الدنيا خير ! خربت الذمم ! .

أبو الفضول : ( من وراء الباب ) ماذا تقول الست ؟ لا أسمع . تشتمنى أنا ؟ ... ( يصيح ) ياست افتحى الله يفتح عليك .

زينة : أنظرى كيف يظهر اللين ... الرجـــل ! انفتحت فى رأسك طاقة ! سأقول له مايصك أذنيه . ( تصرخ ) يا فاسق . يا رذيل . يا كافر . يا لص الأعراض . يا خائن . تعالى نخذنى جثة . خذنى جثة هامدة ...

جلنار : ( تعترضها حتى لا تفتح الباب ) يا داهيتى ، دونك ياست ادخلى أنت . لا تفتحى أنت . ياخرابى ! ...

أبو الفضول : خذنى ؟ ! والمصيبة التى فى البيت ، كيف أنجو من برائنها ؟ هه !

زينه : آه ! اسمعى إليه الآن يتعلل بزوجته . . الفاسق !

أبو الفضول : فاسق ؟ ! سترمى بلاها علىّ هذه المرأة ، ولم أستفتح بعد ...

زينة : ( تشهق ) تستفتح ! دعينى أؤدبه . دعينى .

جلنار : لا تفتحى يا سيدتى . أخاف عليك منه .

( ولكنها لا تقوى على منعها . الآن قد فتحت زينة الباب وسرعان ماخطا أبو الفضول للداخل مندهشا أكثر منه ساخطا أو حنقا ، ومع أن السيدتان كانتا فى انتظار وحش مفترس هو أمين سر الحكمة ، فمن عجب أنهما تراجعتا إلى الداخل فى خوف مفاجىء ، ودهشة عقدت

لسانيهما برهة ، وقد أمال أبو الفضول رأسه الى الوراء ليرى من تحت العصابة فما وجد الاسيدتين قد غطيا وجهيهما على الفور بأطراف نقابيهما ) .

أبو الفضول : يجعل بيوت المحسنين عمار يارب العالمين . اجعليني أستفتح يا ست .

جلنار : يخيبك رجل ! كيف دخلت ؟

زينة : ما أنت ؟

أبو الفضول : (ساءه الاستقبال والشتائم والاستنكار . ولكنه آلى على نفسه الا يسأل شيئا ، فتراه ضيقا بالموقف كله كما هو ضيق بحرفته التي أكره عليهـــا ) يسألوني عادة من أنت . ولكن ها هي امرأة تقول: ما أنت ابني آدم يا سيدتي . رجل . لا املأ العين ؟

جلنار : شؤم الرجال . تدخل بيوت الناس هكذا بلا إذن ؟

أبو الفضول : لماذا تجدينني شؤم الرجال يا حيزبون ؟

جلنار : ( تشهق ) يا مصيبتي !

أبو الفضول : ومع ذلك طرقت الباب مرتين . وسمعت صراخا كأن أحداً يكلمني ، ثم فتح الباب . لا أدخل ؟ إيه الحكاية ! .. ( مستدركا ) لا يجيبني أحد على سؤالي . عاهدت الله لا اسأل شيئاً . اعطني شيئاً استفتح به وأتوكل يا ست .

زينة : ( لم تفق تماما بعد ) ماذا ؟ ! أنت شحاذ ؟ !

جلنار : في هذه الساعة يا شقي تطرق الأبواب وتشحذ ؟

أبو الفضول : في أي ساعة تحبين أن أشحذ منك ؟ الساعة عشرة وزيادة يا امرأة ! ألا تعجبك الشحاذة الساعة عشرة؟

جلنار : انظري كيف يرد الأعمى علي .

أبو الفضول : لست أعمى . إنما أعصب عيني نذراً . نذرت ألا أرى الناس بعد أن كرهت أحوالهم . ووالله إني بعصابتي أحد منك بصراً .

جلنار : ليس أعمى. والله هكذا حدثني قلبي . ( ترد نقابها )

زينة : وماذا تريد ؟ ماذا تريد ؟

أبو الفضول : الله ! على مهلك يا ست . ألا ترين بعينيك ؟ شحاذ . ماذا يريد شحاذ منك ؟ هه ؟ أن تقرأي له الكف؟

جلنار : كيف تكلم السيدة يا رذيل . الله يقطعك !

أبو الفضول . ( يلقي برأسه الى الوراء لينظر من تحت العصابة فيما حوله ) الناس جنت في هذا البيت . شحاذ يا سيدتي شحاذ . أريد طعاما . ملابس . نقوداً . أشياء قديمة . . أي شيء . عشرة افواه في بيتي تطلب الرزق ، وعليّ رزقها من بعد الله ، ولا صفة لي ، ولا رخصة عندي . . فأنا أشحذ . ومهما أعطيتني لا أغضب ولا أتبطر . إسمي أبو الفضول ولكني عاهدت الله أن أكف عن الفضول . كنت حلاقاً ثم أصبحت حمالا ثم

صرت شحاذاً ، وجئت إلى بابك استفتح . لم انطق إلا كلمتين : « اعطنى لله يا ست ! » فهل اعطانى أحد شيئاً ومشانى ؟ أف من لكاعة الناس وفضولهم . فى بيت كهذا فاخر الأثاث ثمين الرياش ، الناس يأكلون حتى يشبعوا ثم يرمون الفتات . وأجىء أنا لألم فى خرجى الفتات . . فإذا هم بدل الحسنة يمطروننى بالأسئلة : ما أنت ؟ كيف دخلت ؟ من أذن لك ؟ ماذا تريد ؟ لماذا لا تتعلم صنعة ؟ كم فرداً تعول ؟ كم ضرساً فى فمك ؟ أنت أعمى أم مفتح... الله ! كفرنا ! هى محكمة ؟ !

جلنار : انظرى كيف يثرثر المجنون ! أهذا وقته ؟ مصائب تترامى علينا والله . أخرج ! كما دخلت أخرج .

أبو الفضول : كما دخلت أخرج ؟ اقتراح حسن. حباً وكرامة ياستى . دخلت باختيارى وأخرج باختيارى .

جلنار : كيف تجرؤ أن تدخل بيوت الناس ؟ . .

أبو الفضول : الأسئلة ! . .

زينة : أتخرج أم أدعو الشرطة ؟

أبو الفضول : الله ! سيقولون لص اقتحم البيت ! من من الناس لم يرم بلاه علىّ . ولكن إعلمى يا سيدتى أنى رجل مرازى . لقد تكلمت مع الخليفة نفسه وجهاً لوجه .

هـنه . . ( مقلدا المرأتين ) «كيف تجرؤ أن تدخل بيوت الناس! » «أتخرج أم أدعو الشرطة؟» أننا لندخل بيوت الله بأيسر مما ندخل بيوت الناس . اعطنى ومشنى يا ست لم أستفتح بعد، ولا وقت عندى . اعطنى أمال .

زينة : مرازى صحيح . إنى لأعجب أن كان رجلا بحق .

أبو الفضول : ( يبتسم ) هذا تعليق السيدة . أنا أعجبك يا ست . رجل صحيح . الله يلعن الزمن . .

جلنار : أنظرى كيف يتكلم ! ما أنت ؟ حلاق ؟

أبو الفضول : هذه فطنة الخادمة اللعوب . تعرفيننى بالتأكيد . أرأيتنى فى الدكان ؟ فى السوق ؟ .. فى المحكمة ؟ .. فى الشرطة ؟ .. فى ..

جلنار : عرفتك من فضولك وثرثرتك .

أبو الفضول : لا لا . إلا هذا . لست بالفضولى . لقد تبت وعاهدت الله . لو كنت فضولياً صحيح كنت سألتك وسألت سيدتك . ولكنى لا أريد ، فما ضرنى إلا فضولى..

زينة : كنت تسألنى عن أى شى ؟

جلنار : لا تأخذى وتعطى معه فى الكلام يا ست . فلعل أحداً دسه علينا .

أبو الفضول : ( للجلنار ) لا تتكلمى أنت . ( يستدير لزينة ) أنت تنتظرين رجلا يستحق القتل .

زينة : فعلا انتظر رجلا يستحق القتل .

أبو الفضول : ( متدفعا ) ما منصبه ؟ ما ثروته ؟ ما حجمه وما رسمه ؟ ماذنبه؟ما علاقته؟... (متراجعا)هذه هي بعض الأسئلة التي كان من الممكن أن اسألك إياها لولا أني تبت وعاهدت الله . لاتجيبيني .اعطى لله وهشى يا ست . لم أستفتح بعد .

زينة : أيغير منصبه من الامر شيئا ؟ اذا ما كان وزيرا أو خفيرا ؟ ما الفرق ؟ الرجـــل الذى يستحق القتل يستحق القتل. لا يهم حجمه أو هيئته أو منزلته ...

أبو الفضول : ( هازئا ) ها ها .. يختلف الامر ياسيدتى . يختلف. اسأليني أنا . اسأليني . لاجناح عليك ولا ضرر فانت لم تعاهدى الله أن تكفى عن الأسئلةأوالفضول. ( يضع الخرج على الأرض ويتربع عليه كمن يقبل على إلقاء درس )

جلنار : يامصيبتى ! سيقعد ؟

ابو الفضول : وما ضرك من ذلك وما شأنك . الارض التى تحمل الجبال والثقلاء ستنوء بحملي أنا ؟ اقاعد على خرجى. مالك انت ؟ ( يلتفت الى زينه ) إسألى رجلا مثلى عاقلا ولبيبا وحاذقا . إسألى وتعلمى . لاضرر ولا عتب عليك .

جلنار : انت العاقل اللبيب الحاذق ! اسمعوا هذا . انته لا تساوى درهما .

ابو الفضول : لا أساوى درهما ياجارية السوء ؟ مثلك لا يباع اهله وأخواله واعمامه واولاد اعمامه وبنات اخواله كلهم حزمة واحدة بفلس ، وتقول لا أساوى درهما . اخرسى انت ، فلولا أن سيدتك هى التى تسألنى ما كنت أهدرت حكمتى فى هذا البيت . .

زينة : أيغير منصب الرجل الذى يستحق القتل أو منزلته من جريمته ؟ قل لى كيف ؟

أبو الفضول : لا يغير يا سيدتى من جريمته . ولكن يغير فى طريقة قتله . فالغنى لا يقتل كالفقير ، ولا السيد كالعبد .

زينة : كيف اذن يكون قتل هذا ، وكيف يكون قتل ذاك ؟

ابو الفضول : ( حذرا ) هل خطر لك ان تؤجرينى على قتله ياسيدتى ؟

زينة : ألك قلب فى جوفك ؟

أبو الفضول : قلبان فى جوف . قلب لى وقلب علىّ .

جلنار : أنظرى الرجل وردوده ! إنكسف يارجل واتركنا لهمنا .

أبو الفضول : لن أسألك ماهمك وما خطبك. دعينى أكلم الست .

زينة : كيف جعل اللـه لكل منا قلبا واحدا ، وجعل لك قلبين فى جوفك ؟

أبو الفضول : ذالك أنى إن وجدت أحدا فى ورطة . . قلب يقول لى : لا تكون أبا الفضول ولا تسمى باسمك ان لم تنقذه من ورطته. هذا قلب علىّ. وقلب يقول لى : يا أبا الفضول يكفيك ما نكبتك به مروءتك من نكبات. فقدت الرخص والرزق وصرت شحاذا بخرج. هذا قلب لى .

زينة : وأى قلب يغلبك ؟

أبو الفضول : عندما أرى دموعا تسح وأسمع أنينا معذباً أضعف ، فيغلبنى الأول . . وعندما لا أرى دموعا تسح ولا أسمع أنينا معذباً . . يغلبنى الثانى.

زينة : ( تنهمر دموعها فى الحال وتخبىء وجهها بيديها ) وامصيبتى ! آه مما بى ! يا لى . . ( تبكى بحرقه ) يا من يغيثنى وينقذ عرضى ! واها لى ...

جلنار : سيدتى ! أثرت مواجعها الله يقطعك .

أبو الفضول : ( كان قد قفز لدى بكاء زينة كالملدوغ وقلب البصر حواليه من تحت المصابة فى توجس وتوقع أذى ) ماذا يوجعها ؟! . . لا لا . لا يجيبنى أحد على سؤالى ( لنفسة ) كمين يا أبا الفضول ! لا أريد أن أعرف . لا أريد أن . . أن . . ( بارتفاع أنين وشهقات زينة يضعف صوته ،

ويرفع العصابة قليلا فيروعه منظر السيدة يهتز جسدها فى
حضن الجارية ،لم ير وجهها تحت النقاب بعد . وهو يغالب
أنينها الآسر اشير فيرد العصابة على عينيه ، ويحكم وضع
الخرق فى أذنيه ، ومع ذلك يقول ) . . سيدتى ! أين هو
ومن وكيف ولماذا و ... آه ! لا . لا يجيبنى أحد .
استغفر الله فقد عاهدت الله . إعطنى شيئاً ومشنى ياست . .

زينة : وحش قرر أن يقتحم بيتى ليغتصب شرفى . ذئب
فاسق سيهتك سترى غصباً وقهراً . ضرب موعدا
الآن . سيطرق الباب ثلاث طرقات ثم يدخل . ذئب
فى ثياب رجل . الغياث الغياث !

أبو الفضول : ( الآن يشحذ بجد . كيف هو مسكين ! ) اعطنى شيئاً
لله ومشنى يا ست .

جلنار : هدئى روعك يا سيدتى . واحزناه . .

زينة : سأقتل نفسى . سأشوه وجهى وأمزق صدرى .
( لا بأس من أن تمزق ملابسها فعلا ) .

جلنار : بعد الشر عنك يا زينة . يا إسما على مسمى . يا حلوة
يا رشيقة القد . يا ذات الحسن والدلال ، وجبين
كغرة الهلال ، وعيون كعيون الغزلان ، وخدود
كشقائق النعمان ، وفم كخاتم سليمان ، ووجه كالبدر
فى التمام ، وطلعة كطلعة الصبح على الخائف والولهان . .

( هذه القصيدة التى تقولها جلنار وهى تزفر الحسرات لاتلقى من أبى الفضول اذنا هامدة الشعور. انه يـدور فى الغرفة كالهارب ، ويتعثر . ولاندرى أيرفع العصابة ليعثر بطريقه الى الباب ام ليتحقق من ادعاءات جلنار . القصد. لايقع بصره على وجهها الدامع المحزون الا وقد سقط نقابه تماما فيراها لاول مرة منذ دخل ، رؤية صحيحة واضحة ، فيشهق )

أبو الفضول : سبحان الله ولا إله إلا الله . هذا وقت المروءات !

زينة : أيرضى الله ؟ أيرضيك ؟ لم يعد فى العالم رجل عنده المروءة ليغيث امرأة ضائعة ، أو الشهامة ليتصدى لرجل فاسق . . آه !

جلنار : لنا الله يا سيدتى . لا تفعلى ذلك بنفسك .

زينة : وأكثر من هذا سأفعله . سأشوه وجهى . .

أبو الفضول : إنتظرى ياست . الله ! لا تحطى الدنيا فوق دماغى أنا . فما شأنى أنا . ( يقلدها ) « وأكثر من هـــذا سأفعله بنفسى » مالى أنا ؟ جئت أشحذ . اعطنى لله ومشنى يا ست . لم استفتح . إن شاء الله استفتح بجريمة قتل لله ، وإعدام لله ، وتحقيق وبهدلة وضرب وصفع وقلة قيمة لله . إمش يا أبا الفضول . إمش . لا شأن لك .

زينة : وا مصيبتاه .

أبو الفضول : ( كيف يمشي ؟ انه يضعف ) لعله نسي ولن يأتي . .
جلنار : نسي ؟ ! ثلاثة أشهر يطاردنا ويدبر لهذا الصباح الأسود . .
زينة : سيطرق الباب ثلاث طرقات . وعلينا نحن أن نهرّبه داخل البيت في خشوع وسكون ! آه لك يازينه . .
أبو الفضول : لعله أن يكون رأى طيفاً أو ملاكا في الليلة الماضية ، وزجره لا يأتي . .
زينة : الشيطان نفسه يخشى أن يتراءى له في منام .
أبو الفضول : الله ! ألا نستطيع أن نكلمه ؟ نتوسل إليه ؟ نقبل قدميه ؟ أقبلهما أنا إن كنت تستكثرين . .
جلنار : الله يقطعه . لم ينفع معه كلامي ودموعي .
أبو الفضول : يا حفيظ ! شيء مخيف .
زينة : نخافه لأننا نساء . ولكن إذا كنت أنت . .
أبو الفضول : أنا ؟ ! ستجرجرني من ذقني كالأبله .
زينة : آه . أغضبته . لم أعد أعرف ما أقول . سامحني .
أبو الفضول : تريد أن تغلبني المرأة . ولكن هيه ! قلبي ثابت كالصخرة .
زينة : لا قلب لك . ( برقة ) لا قلب لك .

أبو الفضول : (ثائرا على نفسه) لا . فى الأولى جرحت القاضى وفقدت رخصة الحلاق . وفى الثانية فضحت بنته وفقدت رخصة الجمال . والثالثة ثابتة . لم تبق إلا روحى لتروح . فاسق فاسق . من أنا حتى أقف فى طريقه ... ذئباً كان أم رجلا ؟ أنا لا أؤجر للقتل . سفاح أنا ؟ ماذا أقول للمحكمة ؟ « من أنت وما شأنك وما دخلك حتى تقتل نفساً حرّم الله قتلها إلا بالحق ؟» ما أكون أنا ؟ ما أكون أنا ؟ لاشىء . مجرد فضولى أو سفاح بالأجرة . أيرضيك هذا أنت؟ لا لا ... إعطنى شيئاً ومشنى يا ست الله ينجيك .

زينة : أتسأل من أنت ؟

أبو الفضول : أأنا سألت شيئاً ؟ لم أسأل شيئاً البتة . أخاف غضب الله إن أنا سألت .

زينة : أتريد مسوّغا لحمايتى غير مجرد الشهامة والمروءة والرجولة ... أسوغ لك حمايتى .

أبو الفضول : تضحك على ذقنى المرأة .

زينة : لا أضحك عليك . تزوجنى واحمنى .

جلنار : يا خرابى ! موتك أهون عندى .

أبو الفضول : أتزوجك ؟ ! أنا ؟ ! تكلم من هـــذه المرأة ؟ (ينظر حواليه)

زينة : لا أعجبك ؟

جلنار : يا خرابي ! تتزوجينه في دقيقة ولا تخلصين منه إلا بطلوع الروح . (للحلاق) يا نصاب . يا لص . يا مخادع .

أبو الفضول : (لجلنار) أنا يا امرأة ؟ (لزينة) أنا يا ست ؟

زينة : أنت . نعم أنت . تستكثر عليّ نفسك .

أبو الفضول : لا أصدق .

جلنار : هذا الجمال كله يا ربي ، مطمع الملوك والأمراء .... لهذا القرد ! يا خرابي !

أبو الفضول : قرد يابنت الأبالسة . لا أعجب الشمطاء . ولكن أسمع ما تقوله الست ..

زينة : هو أفضل منهم . وستعرفين مقامه إذا اقتحم رجل بيته ليغتصب زوجته . سترين عندئذ ..

أبو الفضول : اقتحم رجل بيتي؟ليغتصب زوجتي؟ .. ها! أنا فقير أنا. أنا رجل تافه أنا. أنا رجل حقير أنا. (يضرب رأسه بقبضته) لا أساوي درهما أنا . ولكن من يمس عرضي، شرفي ، بيتي. .لا أراك الله . إني مصاص دماء إذن ـ سفاح بحق ..

زينة : هذا رجلي الذي أريد . زوجي .

أبو الفضول : أتقبلينني زوجا يا ست ؟
زينة : قبلتك .. زوجي وسيد بيتي . إيجـــاب وقبول وقد تم .
أبو الفضول : إنتظريني ساعة ؟
زينة : إلى أين ؟
أبو الفضول : أحضر شاهدين ونعقد العقد .
زينة : لا تتركني الآن . أنا خائفة .. فيما بعد .
أبو الفضول : الله ! لا زواج بلا شهود . .
زينة : لا تتركني . لا تذهب .
جلنار : دعيه يذهب لعل ضبعاً يفترسه .
أبو الفضول : الله . الشهود يا ست . زواج أولا زواج ؟ فهميني .
زينة : لا وقت . إحمني . سيأتي الآن . حالا . عرضك يا أبا الفضول..
أبو الفضول : تستفزني بشدة . عرفيني الحكاية من الأول ياست . ( لنفسه ) أين أنا ؟ كيف وقعت ؟ ( لزينة ) كيف شكله وهيئته ؟ ما طوله وما عرضه ؟
زينة : يكاد أن يتهاوى من اســـتبداد أهوائه بجسمه . متهافت ركيك التكوين ..
أبو الفضول : فهمت فهمت . لا شك أنه من أولئك الشبان الذين إذا رأى الواحد منهم وجهاً مليحاً غشي عليه .

جلنار : يخافه يا سيدتى أؤكد لك .

زينة : وإن كان يخافه فإن بينهما بابا . وما عليه إلا أن يشتمه من وراء الباب .

أبو الفضول : إه ؟ أشتمه من وراء الباب ؟ ! دعيني . . . لا تلمسيني . . سأريك كيف يكون الضرب والصفع والقتل . . بالحذاء وبالسكين ، كل في يد .

جلنار : ( بهزء ) يا خرابى .

أبو الفضول : لا اعجبها العجفاء . ولكن الست تستفزنى بشدة ، وقلبي يدفعنى إلى التهلكة .

زينة : أزجره يا أبا الفضول ساعة يطرق الباب . وفهمه أنك صاحب البيت ، فقد يفزعه صوتك ويفر . وكفى الله المؤمنين القتال .

أبو الفضول : أزجره من خلف الباب ؟ ! أنت لا تعرفيننى ياست . ولد . صبي غر .. رقيع كما تصفين .. هذا لا ينفع معه إلا السكين . هات ( ينتزع السكين من يدها ) .

زينة : لا لا . . لا أريدك أن تذهب به . أنه لا يساوى ظفرك . كلمه بحزم . عرفه أنك صاحب البيت ، فلعله يخافك ، ويفر . . الله يفضحه .

أبو الفضول : أخافه تقول الجارية . هه؟ ( يلوح لها بالسكين )

جلنار : ( تقفز فزعة ) يا خرابى !

أبو الفضول : دمى يسخن . . أهو زواج بحق ؟ لا أكاد أعرف ما هذا البيت.. بيت طهارة أم بيت دعارة . الست جميلة جداً يا وعدى .. أنت لا تعرفيننى حين أغار . دمى سخن . أغار حتى على القبيحة التى فى البيت. لا تعرفين كيف أثور ، واندفع كالثور الهائج . .

أبو الفضول : ( طرق على الباب ) ادخلى يا امرأة . إلى الداخل . إلى الداخل .سأذبحه ذبح الشاة . ها ... ( تدخل زينة وجلنار تتبعهامذعورة. تراقبان مايجرى فىالبهو من خلف ستارة الغرفة الداخلية ) يلوث بيتى ! ( يفتح الباب بعنف ويرى أن القادم هو أمين سر محكمة بغداد. واذ لايخطر بباله أبدا ان هذا السملاق هو هو الصبى الغر الذى يتوقعه، فانهلا يخفى ارتياحهمن وجود رجل العدالة فى البيت إبانهذا المأزق . بل يسره ذلك جدا ، ويمعن فى الثورة والصياح ) جئت فى وقتك ... لم أكن أتمنى إلا شاهداً أهلياً فأكرمنى الله بشاهد رسمى . أمين سر محكمة بغداد سيكون شاهدى أمام القضاء . تقدم. ( أمين المحكمة يتبعه بنظره وبقدميه مستغربا )

زينة : سيؤدبه .

جلنار : ( تشهق ) انظرى كيف يخاطبه .

زينة : نظرى فى محله .

أبو الفضول : حمدا لله أنك سترى بعينيك هذه الفوضى . هذه العربدة بأعراض النـاس . حتى إذا مثلتُ أمام المحـكمة كنت أنت شاهدى وسندى . إذ أنى ياسيدى ، مع احترامى لرفعة مقامك ، قد أزمعت على بركة الله أن أذبح رجلا فاسقا ماجناقاطع طريق لص أعراض .. هنا الآن .

أمين السر : ألست أنت الحلاق الذى قهر القاضى وغلبه على أمــــره ؟

أبو الفضول : لا وقت للتعارف الآن ياسيدى الأمين . أخشى أن نتساق فى الأخذ والرد فتبرد نارى ، وأنا أريد أن أشعل ناراً الآن .. هنا .

أمين السر : ولماذا تريد أن تشعل النار هنا الآن ، إذا حق لى أن أعرف ؟

أبو الفضول : ( يمر على منافذ البهو ) من أين يأتى ؟ هل يجىء من الباب أم من الشباك ؟ هل يتسلل كفأر حقير وكلص دنىء ، أم يدخل من غفلته فى زهو وثقة ؟

أمين السر : من يـكون ، إذا حق لى أن أسأل ؟

أبو الفضول : فاسق يريد أن يقتحم البيت ليغتصب صاحبته . ضرب موعدا لجريمته الآن .

أمين السر : ( يكظم غيظه لأنه حائر بعض الشيء وغير مصدق ) فاسق ؟!

أبو الفضول : هل قلت فاسق ؟ . . داعر !

أمين السر : ( ترتفع حرارة غضبه قليلا . ولكنه لايزال حائرا غير مصدق ) داعر ؟

أبو الفضول : مجرم رقيع . ذئب فى ثياب رجل . لص أعراض . هاتك الحرمات. كافر .

أمين السر : كافر ؟ هاتك الحرمات ؟ لص أعراض ؟ ذئب فى ثياب رجل ؟ مجرم رقيع ؟ ( جانبا ) أيكون هذا أنا ؟ !

أبو الفضول : وقد أزمعت على بركة الله أن أذبحه كالكلب . ومهما يكن السلاح الذى يعتمد عليه فقد انتهت حياته ، وحسم الأمر . ولتكن شاهدى .

أمين السر : ( غاضبا ولكنه لايزال يكذّب أذنيه ) وهذا الرجل . . هل تعرفه ؟

أبو الفضول : يحق لك أن تغضب ياسيدى . . فمن ذا الذى لا يغضب. هذا الرجل سأعرفه حالا .

أمين السر : كيف ؟ . . إذا حق لى أن أسألك .

أبو الفضول : اعتمد على . فأنا خبير بهذا الصنف من الخبثاء . أميزهم برائحتهم النتنة .

أمين السر : ( لا يزال غير متأكد تماما لأن الشتائم تروعه ) أخشى أن تخطىء الرجل .. إذا حق لى أن أتكلم .

أبو الفضول : أخطئه؟! ليس من كان حاذقا لبيبا مثلى بالذى يخطىء فريسته . اعتمد علىّ . سأعيد عليك ماقالته الست .. سيأتى الآن من الباب ويطرقه ثلاث طرقات . . هكذا! ( يطرق الباب . . فكأنما رنين الطرق هو الذى يوحى له بحقيقة الموقف . ولكنه من هول الصدمه لا يصدق ، فيطرق من جديد ) هـ .. كذا .. ( كالصيد اذ يكتشف أنه وقع فى الفخ ومع ذلك ينظر الى الأمين غير مصدق .. لا يريد أن يصدق . ويطرق من جديد كالمستغيث بسراب امـل ، ولا امـل ) هـ .. كذ .. ذا . . كيف وقعت بعد أن عاهدت الله يا أبا الفضول ؟ .

أمين السر : ( يقلده ) الداعر ! هه ؟ هل قلت الفاسق ؟ لص الأعراض! ذئب فى ثياب رجل ، هه؟ الرقيع المجرم! هاتك الحرمات ! الكافر !

أبو الفضول : لست أنا الذى كان يكلمك ياسيدى .

أمين السر : من إذن أيها الحلاق الذى غلب قاضى بغداد على أمره ؟ من الذى كان يكلمنى ؟

أبو الفضول : نعم . أنا أيضاً أريد أن أعرف . من الذى كان يكلمك ؟

أمين السر : أنت إذن ، من دون الناس جميعاً ، جئت تحرسها !
أنت ؟ ! ( منادياً ) يا من بالبيت !
زينة : ( من الغرفة الداخلية ) أواه .
جلنار : يخيبك رجل .
أبو الفضول : لا لا لا . أبداً . لست أنا من جاء يحرسها . أنت تتوهم ياسيدى . لعلك اثقلت فى الافطار . سيادتك .. سموك . . جلالتك تتوهم . لست أنا . .
أمين السر : يامن هنا ! ماشغلك فى هذا البيت ؟ هه ؟ لص ؟ هجام ؟ تواجدك فى بيت ليس بيتك ، وبيدك سلاح ، وأمارات الجريمة فى عينيك ولهجتك .. ماشغلك فى هذا البيت ؟ إذا كان لى أن أسأل .
أبو الفضول : ( رمى السكين أبعد مايستطيع ) خدام يا مولانا . . أمسح البلاط وأقشر البصل و ...
أمين السر : خدام . معك رخصة ؟
أبو الفضول : ( يتظاهر بالبحث عنها لحظة ثم يلهيه عن سؤاله ) نعم يامولانا . أقوم فى الصبح وآخذ البغل واشترى الحاجات من السوق وأحمله الحطب ولا اركبه أبداً .. فإذا ما عدت أوقد الفرن وأضع فيه الطبيخ . وبعد أن ألم البسط واكنس وامسح البلاط وأرد الفرش كما كان ، آخذ القمح وأغربله وأطحنه وأعجنه

وأخبز العيش والفطير ثم أملأ الفساقى ماء . وأعد القصعة بالارز وأسقيها بالعدس وأحشوها بالزفر ...

أمين السر : يامن بالبيت !

( تدخل زينه ومن خلفها جلنار مشفقه على سيدتها ومعقودة اللسان من الذعر، بينما زينه قد قررت بعد خيبة أملها فى أبى الفضول ، أن تقف وقفة أخيرة دون الاستسلام )

زينة : علام تصرخ فى بيتى ؟

أمين السر : من هذا الرجل ؟ ( يمسك ملابسه على قبضته ) .

أبو الفضول : ... ثم أقدمها يامولانا على السفرة مع سائر المشموم والنقل والشربات . . وبعد ما يفرغ السادة من الطعام أجمع الأطباق فى القصعة وسائر الأدوات والأكواب وأغسلها كلها بالماء والصابون غسلا جيدا وأردها فى مواضعها فى الدولاب . وأضع العلف للبغل ولا آكل حتى يفرغ البغل من غذائه . .

( إن ابا الفضول يواصل كلامة بغض النظر عما يجرى حوله من حوار بين زينه وأمين السر ، أجد لزاما على أن ازج به هنا ، على أن يكون موضعه فوق المنصة ما يكون ، لايهم ) .

زينة : اترك الرجل من فورك . ألا ترى أنه صاحب البيت .

أمين السر : صاحب البيت؟!

أبو الفضول : .. وفى العصر أبخر البيت وأوقظ السادة وأعد المجلس في الشرفة البحرية وأقدم الشاى بالسكر والفطير بعد أن أذب الذباب وأهوّى المطرح . .

زينة : نعم، هو زوجى كما أراد الله .

أمين السر : ( يترك ثياب أبى الفضول مذهولا ) زوجك ؟ !

أبو الفضول : ( يقدم له ممسكا آخر من ثيابه فيمسكه أمين السر وهو لايزال ذاهلا ) .. لا تصدق ياصاحب الجلالة لا تصدق . السيدة تهزل . ظريفة والله . . وبعد أن أجهز العشاء وأروّق المشروب وأعد المسكرات وما تيسر من الحلوى وأقدم الفاكهة ، أصب الماء على أيدى السادة وأجهز لهم المجلس وأرتب الحشيّات والوسائد ، وأقف جاهزا لتلبية النداء . .

أمين السر : هل جروّت على تحدّى مشيئتى بهذه الجسارة .. ليغارمنى فى فراشك هذا القرد .. هذا المهزوّة !

زينة : الله لم يحرم الزواج يا أمين سر المحكمة .

أبو الفضول : ياست حرام عليك . وقعت الجراح على الجراح . لم يعد فى جسدى موضع لا يدمى . . عاهدت الله وهذا جزاء النكث بالعهد . لله يا محسنين . حسنة للجائع المسكين تنفع فى يوم الدين . كنت أحلق ذقون الناس

فوقعت فى مصيبة . حملت أمتعة الناس فرزقت بنكبة . خرجت أشحذ فاستفتحت بداهية . .

زينة : ( لأبى الفضول ) يا جبان يامخادع . . تنكرنى الآن ، ولم تمض على اتفاقنا ساعة ..

أبو الفضول : الله لا يسيئك ياست . قولى كلمة طيبة فى حقى. أنا خلصت .

زينة : أتنكر حديث زواجنا ؟

أبو الفضول : من ؟ أنا . . ؟ حيلك ياست .

أمين السر . ( يتدخل ليهدىء انفعال زينة خشية أن يصيبه رشاش من اندفاعها ) رويدك ياسيدتى حصل خير . إحمدى الله أنى ادركتك ، فهذا الرجل خطير ، وعلى الله سلامة من يقع فى حبائله . الحكومة نفسها لم تخلص منه بحقها . ولكن سنخلص نحن إن شاء الله بحقنا منه . فإنى لست أنا قاضى بغداد . فاهم . لست كالقاضى أنا .

أبو الفضول : لا ياسيدى . لست كالقاضى أنت .

أمين السر : كل ما تسمعه منى تنفذه فى الحال ، وإلا أرميك فى بلية بحيث لا أرضا تقلك ولا سماء تظلك .

أبو الفضول : كل شىء تقوله حسن يامولاى .

أمين السر : هل قبلت أن تتزوج هذه المرأة ؟ أصدقنى .

أبو الفضول : لا ياسيدى.. لا لا . .

أمين السر : أترضى أن تتزوجها ؟

أبو الفضول : لا يا سيدى . لا لا .

أمين السر : أنا آمرك أن تتزوجها . ما قولك ؟

أبو الفضول : إه ؟ أتزوجها ؟

زينة : ماذا تقول ؟

أمين السر : تتزوجان . هذه أصوب فكرة . وقد كان لك فضل السبق إليها يا زينة بغداد . فليس أفضل من أن يكون فى بيتك رجل، فأدخل أنا حين أشاء زائرا لزوجك، حفظا للمظاهر . ولست أجد فى بغداد طولا وعرضا رجلا أوفق من هذا الحلاق ، ولا أوفى للشرط . .

جلنار : آه يا ستى .

أبو الفضول : أنا يا سيدى ؟ أنا أوفق وأوفى للشرط . سامحك الله ياسيدى ... لم ينفعنى الحذر من القدر .

أمين السر : أتعترض يا هزؤه ؟

أبو الفضول : لا لا لا . غير أنى يا صاحب الجلالة متزوج. وأخشى أن تتعقبنى زوجتى ، وهى امرأة لا خلاق لها ، فتفضحنا .

أمين السر : ( هازئا ) ماذا تريد ؟ نقودا ؟

أبو الفضول : لا لا . .

أمين السر : جهازا وأثاثا ؟

أبو الفضول : لا لا . .

أمين السر : وظيفة ؟ منصبا فى الدولة ؟ الله يخرب بيتك ماذا تريد ؟

أبو الفضول : ( يحأر ) أريد أن أعرف ياسيدى ما الحكاية ؟ أجيبونى . عاهدت الله ولكنى غير قادر على الوفاء بالعهد . ما هى الحكاية ؟

أمين السر : لا شأن لك بالحكاية . ما شأنك ؟ حلاق !

زينة : إذن فاعلم أنى لن أتزوجه . لقد اختلف الموقف .

أمين السر : هذا ما فهمته بالضبط . كنت تحسبين أن هذا المزؤه سيقف (أبو الفضول يزحف ويأخذ خرجه ويريد أن ينفذ من الباب فى غفلة من أمين المحكمة ولكن الأمين يلمحه) قف ! . . سيقف . . قف ! فق ! ققق . . يخرب بيتك تعال هنا . (يعود) كنت تحسبين أن هذا المزؤه سيقف فى طريقى . تكيدين لى ياخاسرة . أتحسبين أنى ممن تؤكل عقولهم بهذه الحيل الصبيانية ، أو ممن يبتلعون غضبهم ويكظمون غيظهم . لا . .

أبو الفضول : ( مرددا ) لا

أمين السر : ( مواصلا كلامه لا يتوقف ) دعينى إذن أعرّفك بنفسى . أنا ... أنا الحافظ عبد الحفيظ أمين سر محكمة بغداد .

يعرف أعدائى قبل أصدقائى صرامتى وطبعى الذى لا يلين . لا أريد شيئا إلا نلته .. لا أقبل عطية أو هدية ، وإنما آخذ ما يتراءى لى قوة واقتدارا . أستطيع أن شئت أن أكف أذاى عنك ، وإن شئت دمرتك .

زينة : لا أريد منك شيئا . لقد جئتك فى المحكمة من أجل القضية .

أمين السر : ( يذهل لحظة ثم يضحك ، ثم ينفجر ضاحكا ) آه . . تتكلم عن القضية .

أبو الفضول : ما هى القضية ؟

أمين السر : ( هازئا ) أية قضية ؟ !

زينة : لقد عرفتها بلا شك .

أمين السر : طبعا عرفتها ولخصتها ثم حفظتها وانتهى الأمر .

زينة : بأى حق تحفظها ولا تقدمها للقاضى ؟

أمين السر : أخاصم أنا شبندر تجار بغداد ، أغنى أغنياء حاضرة الدولة، جليس وأنيس الوزراء والأمراء والعظماء ، من يولى الولاة بكلمة، ويعزلهم باشارة، من يدعو الخليفة نفسه إلى مائدته ، ويغدق الهدايا على الوزير .. الرجل

العظيم، المجيد ، الأبهة.. الرجل بحق.. أخاصمه أنا من أجل خاطر امرأة لا فى العير ولا فى النفير ؟!

أبو الفضول : (يداجى الأمين) أهذا يعقل ؟

أمين السر : هه . حتى هذا الأحمق لا يعقلها ؟ !

زينة : أنا التى ستخاصمه أم أنت ؟

أمين السر : ( بزهو ) آه.. ولكن من الذى سيقدم أو يحفظ القضية؟ ألست أنا ؟ من الذى سيحرك المتاعب أو يحبسها عن الشبندر ؟ ألست أنا ؟ فأنا إذن خصيمه ولكنك لا تفهمين، إذا لزم أن انبهك.. ومع ذلك، هل يستطيع هذا القوى الغنى العظيم الجبار أن يؤذيك أنت؟ أبداً. لأنك لا تملكين شيئاً . أما أنا ، فما أسهل أن يؤذينى، لأن عندى ما أخشى عليه ، وليس عندك ما تخشين عليه. وإضافة إلى ذلك. . هل يصدق أحمق أو مخبول أنك أنت يامن لست فى العير أو النفير تداينين شبندر بغداد بألف دينار . . وأن الشبندر ينكرها عليك! كيف يعقل أن يتدانى الشبندر ويتصاغر إلى الحد الذى يسمح له أن يسرق منك ألف دينار؟ إذا حق لى أن أسأل.

زينة : هو سارق بالفعل ، وليس من حقك وإنما من حق القاضى أن يفصل بينى وبينه :

أمين السر : قاضي من يا ست الناس ؟ أتظنين القاضي مجنوناً ؟
كل شيء بالعقل ينجلي سره . وقد انكشف ستر دعواك الكيدية بالعقـــل والمنطق . . إذ أن من عنده مال لايسرق من ليس عنده ، ولا يعقل اتهامه بالتبديد والسرقة . أما لو كنت اتهمت رجلا . . كهذا ( كأبي الفضول ) بسرقة درهم واحد . . عندئذ تكون السرقة وتكون القضية ، وتتخذ الاجراءات على عجل ، وتقام الدعوى . . وأنشط وينشط غيري لرد مالك إليك . سلمناه للشرطة التي استطاعت أن تقنعه بالاعتراف . والاعتراف سيد الأدلة ، إذا كنت لا تعرفين . قضية بسيطة وواضحة . ومع أن القاضي نظرها في دقيقة ، وأصدر الحكم فقرأته أنا على الملأ وانتهى موضوع القضية ، فإنني لا أدعها تمر هكذا . . بل أخطب ساعة مضنية ، لأنه ما دامت المحاكمات علنية ، والناس تحضرها ، تقع على عاتق مسئولية تحذير ووعظ البهائم التي لا تبارح قاعة المحكمة أبداً إذ أنها عاطلة عن كل عمل ، وأظهر لهم سطوة القانون لأردعهم ، وأقول كلاما فصـــيحاً ومحكماً وفي الصميم . . لتأديبهم ووقفهم عند حـــد القانون .

هذه هى شغلتى ، وهى مرهقة كما ترين . إذا حق لى أن أشكو .

أبو الفضول : كان الله فى العون .

زينة : أنسرق هكذا علانية . أيكون المنطق والعقل وظواهر الأمور مجرد أعوان فى عصابة الشبندر . ماذا جرى للدنيا ؟

جلنار : لنا رب عادل . وأنت ياسيدى إرحم شباب الست . قدم لها معروفا . كلمة منك للقاضى ..

أبو الفضول : نعم . أنت يا سيد الناس كلك نظر . وبرضاك لو تجد للست حلا . .

أمين السر : ( بلهجة الذى يلق بنطق حاسم ) هذه القضية لا شىء ، وحجتك فيها لا تقبل للنظر إلا بشهادة شاهدين عدلين .. لا يكون أحدهما هزوءة كهذا الرجل .

زينة : ألا ينفع القسم ؟ ألا تنفع شهادة جاريتى ؟

أبو الفضول : نعم ألا تنفع حيلة من الحيل ؟

زينة : لماذا لم تقل لى ذلك من أول الأمر ؟ لماذا تركتنى فى وهمى إلى هذه الساعة ؟

أمين السر : آه . . جئنا للجد ، وما كنا ننتظر منذ ساعة . ( يرقق لهجته ) عند ما دخلت مكتبى أول الأمر وعرضت على القضية

أبو الفضول : دعني أرى.. ( يحاول تعقبها فيمسك أمين السر به )

أمين السر : إياك والخداع ؟

أبو الفضول : سيدي .

أمين السر : أنظر ماذا تفعلان وجئني بالخبر من فورك .

أبو الفضول : ( ينتقل إلى الغرفة الداخلية وما أن يدخلها حتى يتنفس الصعداء ) ياه .. ياه .. أف ..

جلنار : ماذا تريد هنا ؟

أبو الفضول : أرتاح يا ست أرتاح . آخذ نفسي . الله ! إستفتاحي زفت .

جلنار : تشكو .. بعد كل الذي فعلت ؟

أبو الفضول : فعلت ؟ أنا ؟ اللهم عفوك .

زينة : ألا خلاص لنا منه ؟ ..

أبو الفضول : كان الله في عونك يا ست .

زينة : خذلتني خذلك الله .

أبو الفضول : أنا ؟ ! الله يسامحك. ترميني في داهية، وأنا رجل كلي جراح، ثم تقولين إعرف خلاصك. والله كنت معك صادق القلب . ولكني لست ندا له . .

زينة : لماذا لم تقل هذا من الأول ؟

أبو الفضول : الله ! أنا عرفت حاجة من الأول ؟ انت قلت شاب عايق وسخنت دمي بشدة ، فإذا أنا أمام أي

يازينة الناس ذاب قلبي لك. قلت امرأة مسكينة أوجعتها الحاجة ، فتنكبت سوء السبيل . إنقذها يا الحافظ . .

أبو الفضول : كلك خير . . إنقذها يا الحافظ.

أمين السر : إنشلها يا الحافظ .

أبو الفضول : يا منجي . إنشلها يا الحافظ . .

أمين السر : عيناك أسرتاني ، إذا حق لي أن أعترف . وجهك أضاء روحي وزلزل قلبي . وإن لوجهك يا آسرتي صورة أرفعها عن المشاكلة ، ولا يجمل بمثلك الخصومة . أنا . . أنا الحافظ للعهد . إن تكرمت علي وقبلت عهدي ، أشتري خصومتك بألف . . بخمسمائة .. ما تقولين . إن أنت نزلت عند مسرتي وطابت نفسي منك .

زينة : لا فائدة . . لا شيء يستر المرء بعد زوال ماله .. آه .

أمين السر : بالك المتعب أريحه .. قلبك المستوحش أؤنسه . . أنا . . أنا أعجبك .. ( يحاول الامساك بيدها وهو مضطرب جدا )

زينة : دعني . دعني . ( تنفلت الى الغرفة الداخلية وتتكوء على الأريكة باكية )

جلنار : ( تتبعها ) سلامتك يا سيدتي .

أمين السر : لم ذهبت وأين ذهبت وماذا أفعل الآن ؟

شيء؟ .. أهذا شاب؟ هذا رخ ياست! هذا هو التنين الأسود! خدعتني وأوقعتني في حكاية ما عرفت أولها من آخرها . . ثم دخلنا في القضية . ما هذه القضية؟ وحكاية ألف دينار ، وشهود ومالا أدري ولا أعرف.

زينة : ستتزوجني اذن وتدعوه للعشاء كل مساء . .

أبو الفضول : الله ! سأرفض .

زينة : (ساخرة) لماذا ترفض؟ لعله يجري عليك راتبا شهريا.

أبو الفضول : ستعود تسخن دمي.

زينة : قل له إذن . قل له بشجاعة : أنا أرفض .

أبو الفضول : سأقول له . ( يهم بالدخول الى البهو )

أمين السر : ( من البهو ) ياحلاق !

أبو الفضول : ( يتردد) دقيقة ياسيدي . ( ثم يعود للغرفة الداخلية ) يا حفيظ ! تقولين أن الشبندر يطارحك الغرام ؟

زينة : لم يمنع عني مالي إلا لينالني .

أبو الفضول : إذن ابعثي جاريتك إليه ليأتيك حالا بأي حجة ، فهو يخاف الشبندر إلى حد الموت ، فإن جاءنا الشبندر خلصنا منه .

زينة : نخلص من مصيبة لنقع في مصيبة .

أبو الفضول : لعل الثاني يكون أسلس قيادا من هذا الداهية .

زينة : اذهبي يا جلنار . اذهبي .

أبو الفضول : . . آه . من الشباك يابت .

جلنار : يا خرابى ! أقع أموت .

أبو الفضول : عمر الشقى بقى. (يدليها من الشباك بينما تخرج زينه من الباب الموصل الى داخل البيت)

أمين السر : ياحلاق.

أبو الفضول : (يدخل البهو) إبتعد عن الشباك ياسيدى .

أمين السر : لم ؟ ما الخبر ؟

أبو الفضول : الناس تتجمع فى الطريق .

أمين السر : (مبتعدا) الناس تتجمع ؟ لأى شىء ؟

أبو الفضول : لاأدرى. لعله موكب الخليفة، ونحن فى الطابق الأرضى . .

أمين السر : (منزعجا) أيمكن أن ترانا الناس من الطريق؟

أبو الفضول : أنا أرى الناس فلعلهم يروننا .

أمين السر : الستار يا مغفل. (أبو الفضول يرخى الستار . الجو يعتم. ولكن أمين السر يهدأ) لماذا لم تأت السيدة ؟

أبو الفضول : لأن هذا الأمر وأنت سيد العارفين لايحتاج العجلة، وإنما يستحب فيه التأنى والاتقان والدعة والرخاوة.

أمين السر : والله تبدو فى عينىّ ولداً حاذقاً ومدرباً على هذه الامور . . هيه . أأنت كذلك ؟

أبو الفضول : أنا ؟ أنا أعجبك . . قرد مسلسل .

أمين السر : هه هه هه . أنا أيضاً مثلك أحب الضحك .

أبو الفضول : سأضحكك يا سيدى . من القلب .
أمين السر : يخرب بيتك .. إضحكنى يا ولد فأنا أحب الضحك .
أبو الفضول : ما رأيك يا سيدى فى سيدتى زينة ترفل فى ثوب فضفاض من الحرير الأحمر الفاتح ، يبدى ولا يخفى ، مهتوك الصدر ململم الوسط ، وقد أرسلت شعرها وفرقته ولمعته حتى لتبرق انحناءاته برقا وتشع اشعاعا ، ودهنته بالعطر الفواح ، وانتعلت نعلا من الحرير الناعم ، وحزمت وسطها بحزام رفيع من التيل الأخضر ، وخطرت كذلك إلى مجلسك ، وقعدت جنبك باسمة متطلعة تنتظر أوامرك ..
أمين السر : يابن إبليس . لقد زلزلتنى بعنف . طاش صوابى ولم أعد أدرى أين أنا . .
أبو الفضول : ثم ما رأيك يا سيدى فى مائدة تمد بين أيديكما عليها كل أصناف الشواء والمحمر والمسلوق والمتبل ، وتلا من الأرز الغارق فى السمن ، قد أخفيت فى جوفه بحذق عشر حمامات سمينة ، وفخذ الضأن المشوى والمسوى بدهنه ودسمه فوق النار الهادئة ، وما حول ذلك وبينه من خضار مسبك وسلطات مشكلة ، ثم ما يلى هذا وذاك من الفاكهة من كل صنف ، بضة ونضرة ، والحلوى من الفالوذج والمشبك

والمعقود، والمهلبية . . كلها خلطت بأصناف النُقل والزبيب . . ويلى ذلك الكنافة، والهريسة السابحة فى العسل الحر . ثم بعدها النقل بأصنافه والمشموم والشراب المسكّر . كل ذلك فى جو عبقه البخور، وعلى أرض كنست جيداً ورشت بماء معطر . .

أمين السر : الله يلعنك . سال لعابى وتضورت معدتى وغشيتنى لذة دغدغت أعصابى . لم أعد أحكم شهوتى . هاتها كلها فى الحال .

أبو الفضول : (يغافل الأمين ليتطلع بعينيه من الشباك وقد استبطأ الشبندر) مهلا . فهذه الأمور تحب التأنى والاتقان، والدخول إليها فى تؤدة ورخاوة ودعة ..

أمين السر : لن أدعك تترك خدمتى ما حييت. أن لك لكل شىء وصفاً . الله يقطعك قطعت أنفاسى « بتؤدة » . . وماذا بعد ؟

أبو الفضول : قبل ذلك لا بعده .. ما رأيك يا سيدى فى حمام منعش، أوله بخار ساخن يفك عقد العضل، ويريح العصب، ويذيب الجهد والتعب، وثانيه ماء ساخن يغسل الارهاق والهموم ويبعث الحياة فى عصب المرح وفى شهوة الطرب، وثالثه التدليك المريح اللذيذ فى اتجاه نسيج الجسم بيد خبيرة حاذقة .. ثم يلى

ذلك دعك الجسم كله بدهان معطر لذيذ يطيش عقول الصبايا ، عندي سر خلطته العجيبة المدهشة ، وبعده نذرّ المسحوق الناعم اللذيذ على الجسم حتى يبرد وتترفق الملابس به كما يلامس الحرير الحرير ..

أمين السر : لعن الله شيطانك . أسرع أسرع !

أبو الفضول : عمامتك وجبتك وسائر هذه الأشياء وتدونك الحمام فلا تضيع وقتاً ..

أمين السر : ( يخلع ملابسه الا أقلها وأبو الفضول يبعثرها . . طرق على الباب . الأمين يختبيء بحركة غريزية خلف الأريكة وقد لم ملابسه كيفما اتفق . بينما أبو الفضول قد فتح الباب من فوره فدخلت جلنار ثم أغلقت الباب وراءها ) .

جلنار : الشبندر .

أمين السر : ( شبه عار . يكاد يغشى عليه ) ماذا قلت ؟

أبو الفضول : ماذا يريد الفاسق ! سنقبض عليه ياسيدى .

أمين السر : مصيبة . أين أذهب ؟

جلنار : ( وقد فاجأها منظر أمين السر شبه عار ) يامصيبتي !

أبو الفضول : دعه لى . فمهما كانت ثروته .. إنى أنا الزوج ، وأنت صديق الأسرة ، ولا حق له علينا .

أمين السر : خبئني إعمل معروف .. أعندكم غرفة ؟

جلنار : لعله لا يفتش البيت فهو مجنون بسيدتى . (تخرج من الباب الموصل لداخل البيت)

أبو الفضول : وأنا أجن منه. سترى ياسيدى كيف أطرده شر طرد .

أمين السر : خلصونى يا أوغاد .

أبو الفضول : الله ! سيدى . تريد أن ترحل ؟

أمين السر : فى الحال .

أبو الفضول : الباب ..

أمين السر : هو على الباب .

أبو الفضول : الشباك . .

أمين السر : الناس فى الطريق . خلصنى .

أبو الفضول : الدولاب .

أمين السر : أخشى إن تحركت قيد شعرة أن يطقطق .

أبو الفضول : خلف الستار .

أمين السر : إن تنفست يهتز . ما هذا؟ ( يقلب خرج أبو الفضول )

أبو الفضول : لا ياسيدى هذا خرجى .

أمين السر : لا ينفع إلا ه .. إسمع يا حلاق . لا سبيل للخروج من البيت إلا بحيلة . سأدخل الخرج ، وعليك أن تحملنى خارج الباب .

جلنار : الله! أنت يارجل! سأدعو سيدتي. ( تخرج عن طريق الغرفة الداخلية )

الشبندر : ( جانبا ) الصفيق لا يعرفني بالتأكيد . أحسن. سأعرف أنا هويته. ( لأبي الفضول ) تحزم متاعك ؟

أبو الفضول : نعم . . مسافر إلى حال سبيلي . ما بقيت لنا إقامة في بغداد.

الشبندر : أحسن . في السفر خمس فوائد .

أبو الفضول : طلبته لفائدة واحدة .

الشبندر : ( جانبا ) ثرثار . . سأكشف أمره في دقيقة. ( لأبي الفضول ) وما هي ؟

أبو الفضول : الفرار من وجه الأغنياء .

الشبندر : ( جانبا ) لا يعرفني بالتأكيد . ( لأبي الفضول ) لم ؟ هل آذاك أحد ؟

أبو الفضول : سيدي. إسألني: هل سلم من أذيتهم أحد. . فذلك أدعى لإرضاء المناطقة ، كما يقولون .

الشبندر : ( جانبا ) متحذلق أيضاً . . سأعرف هويته في لحظة. ( لأبي الفضول ) لا يؤخذ رجل إلا بذنبه . أنا أعرف ذلك .

أبو الفضول : وذنبي كبير ياسيد . ذنبي عظيم . جريمة خطيرة تهون جنبها جرائم القتل العمد والسرقة والاغتصاب .

الشبندر : ( يضطرب ) ياه! ما أنت ؟ ما جريمتك ؟

أبو الفضول : الفقر .. الفقر أجارك الله .

الشبندر : ( يتطامن قليلا ) أيكون الفقر جريمة ؟ شيء لم أسمع به من قبل .

أبو الفضول : لم تسمع به من قبل ؟ لم ؟ أين كنت ؟ أكنت أصم وشفيت اليوم ؟ أقادم أنت من أعلى الجبل ؟ ناسك أنت من هؤلاء المخبولين القاطنين المغارات البعيدة ؟

الشبندر : ( مقاطعا ) لا لست إلا . . أقصد لست قادما من أى مكان ، بل أنا . . ( مستدركا جانبا ) لن أكشف له هويتي . ( لأبي الفضول ) أنا لا أعرف عم تتكلم .

أبو الفضول : (فرغ من حياكة فتحة الخرج ونهض متقدما نحو الشبندر) سأشرح لك .

الشبندر : مكانك! مكا . . . نك! تكلم حيث أنت .

أبو الفضول : الله ! على مهلك ياسيد . أتخاف أن أعضك .

الشبندر : لا أعرف. الدنيا ظلام .

أبو الفضول : أترى الغرفة مظلمة ؟ أنها ليست مظلمة. ولكن قلبك ثقيل ، وهو الذى . .

أبو الفضول : بماذا تقول يا سيدى ؟

أمين السر : أبا الفضول. لا سبيل إلا هذا . أطعنى .

أبو الفضول : سيدى. أنا رجل ضعيف . كيف أحملك ؟

أمين السر : جرجرنى على الأرض. (يدخل دماغه فى الخرج لا رجليه) تجاوز بى عتبة الباب لا أكثر .

أبو الفضول : قد يسألنى ماذا فى الخرج .

امين السر : ياولد أنت كثير الحيل، لا تعاندنى. (طرق على الباب يختبىء أمين السر تماما فى الخرج ، الطرق يتتابع)

جلنار : (تعود إلى البهو تنظر حواليها) أين ذهب ؟

أبو الفضول : خرج .

(جلنار تفتح الباب، يدخل الشبندر ثائرا قليلا)

الشبندر : ساعة وأنا أطرق !(عيناه تفاجآن بالظلام فيتوقف عند الباب برهة ، بينما تتجاوزه جلنار . . هو رجل حذر جدا ومدقق ، ولا يزال غير واثق تماما من سر استدعائه على عجل ، وإن كانت رغبته فى زينة تغلبه على شكه . جانبا) رجل غريب فى الدار ؟ كمين ؟ إن كانت مكيدة فسأفسدها . سأنظر أولا من يكون. (يوجه الخطاب لأبى الفضول) من هنا ؟

أبو الفضول : (يحيك فتحة الخرج بهمة عالية ولا يكاد يرفع بصره) من هناك ؟



جلنار : تفضل ياسيد الناس. أنت غريب ؟

الشهبندر : ( لا يبرح موقفة قرب الباب )أسالك أنالا تسألني أنت .

أبو الفضول : حبا وكرامة . . إسألني ما شئت . أما أنا فعاهدت الله لا أسأل شيئا .

الشهبندر : ( واقفا مكانه ) ماذا تفعل هنا .

أبو الفضول : ألا ترى بعينيك ؟ أحزم متاعي. حيا الله من في وجهه نظر .

الشبندر : جيبي ثقيل ؟ عنى ! عنى !

أبو الفضول : أنظر إلى الرجل كيف يفزع !

الشبندر : (منزعجا أكثر ) تكلم من ؟ معك أحد ؟

أبو الفضول : ( يتقدم نحوه خطوة ) أكلم نفسى ياسيد .

الشبندر : مكانك! مكا..نك! ( يتراجع خطوة نحو الباب )

أبو الفضول : أعوذ بالله ولا حول ولا قوة إلا بالله .

الشبندر : لا تؤاخذنى . . سرقت بالأمس فقط ولا يلدغ المؤمن مرتين .

أبو الفضول : كان الله فى العون ، راح منك كثير ؟

الشبندر : القليل على القليل كثير ..

أبو الفضول : عذر مقبول .

الشبندر : لا أقصد بالطبع أن أتهمك ،ولكن الشيطان شاطر.. الدنيا ظلام ، ورجل ساخط مثلك قد يضعف . . يعنى لا مؤاخذة .حرّس . . يعنى ، ولا تخوّن.

أبو الفضول : سبحانك يارب .

الشبندر : نعم .. أذكر الله بدلا من أن تتحدث عن الذنوب. والفقر حديثا . . يعنى الله يهديك .

أبو الفضول : ( يتقدم إليه خطوة وقد زاد انفعاله ) ألا تحب السرقة. ياسيد ؟

الشبندر : ( يفزع ) مكانك ! يا من بالبيت !

أبو الفضول : الواحد منا أن يسرق منك دينارا يصبح مجرما خطيرا. أما إن سرقت منك ألف دينار فقد أصبح بربحها شبندر التجار .

الشبندر : ( مرتاعا ) ماذا تقول ؟ هجام أنت ؟

أبو الفضول : نعم، وقد سرقت هذا البيت . فإذا سمحت تحرك إلى الناحية الأخرى، لأنى أطلب الباب . ( يحاول عبثا أن يحمل الخرج الثقيل ) .

الشبندر : (خائفا ومترددا جدا) إنتظر دقيقة . مكا . . نك . أتعرف السيدة أنك خارج ؟ ماذا تحمل فى هـــذا الخرج ؟ أين ذهبت الجارية الملعونة ؟ يا من بالبيت ؟ ياهوه .. الدنيا ظلام ؟

أبو الفضول : وسّع السكة !

الشبندر : ( يكاد يستغيث ) دقيقة واحدة. إفتح الشباك. سأختنق. يا هوه ! إبتعد عنى . . (تدخل زينة، تبدو أقل اضطرابا وانفعالا مما كانت أمام الحافظ ، فهذا الشبندر الحذر ليس كالغول المندفع الآخر . دخلت إلى البهو بخطوة ثابتة متدللة، تتبعها جلنار إن صراخ الشبندر أدهش زينة بعض الشيء ، ولكن أثره أوضح على جاريتها )

زينة : ماذا دهى زائرنا العظيم ؟

الشبندر : ( إستقام عوده بدخولها ، وتدفق صوته من جديد ) إفتحى الشباك ياجلنار . إفتحى الشباك .

زينة : أزيحى الستائر ووار بيه فقط ، فالناس تتجمع فى الطريق . ماذا يجرى هنا ؟

الشبندر : من يكون هذا الرجل ؟

زينة : أنه خادمى .

الشبندر : خادمك ؟

زينة : نعم . . يقوم فى الصبح ويأخذ البغل ويشترى الحاجات من السوق ويحمِّله الحطب ولا يركبه أبدا. فإذا ماعاد يوقد الفرن ويضع فيه الطبيخ ، وبعد أن يلم البسط ويكنس ويمسح البلاط ويرد الفرش كما كان يأخذ القمح ويغربله ويطحنه ويعجنه ويخبز العيش والفطير . قل له يا أبا الفضول فأنت أقدر...

الشبندر : ( لأبى الفضول ) لعنة الله عليك! خدام. . وتسرق البيت الذى تأكل منه خبزك ؟! أنظرى مايحمل فى خرجه.

جلنار : يامصيبتى! ( لم تفتح الستائر بعد )

الشبندر : قلت لك .

أبو الفضول : جن الرجل والله .

الشبندر : ( منزعجا رغم كل شيء ) تـكلم من ؟ معك أحد ؟

زينة : أرنى ماذا فى الخرج ؟

جلنار : لا تقتربى منه ياسيدتى .

زينة : أزيحى الستائر كما قلت لك، وواربى الشباك. (جلنار تفعل) أرنى ما أخذت فى خرجك .

أبو الفضول : الأشياء التى لا تريدينها ياست .. الله! نسيت؟ الزبالة التى .. اللهم اجعل كلامى خفيفا .

زينة : ( تندهش وتنزعج ) ماذا؟ وضعته... وضعتها فى الخرج؟

الشبندر : ألم أقل لك ؟ فى الأمر شىء .

أبو الفضول : الله! ( يقلدها ) «خلصنى يا أبا الفضول». ها أنا خلصتك، ياست الناس. وسع السكة ! ( يحاول عبثا رفع الخرج ).

زينة : أين أنت ذاهب بها ؟

أبو الفضول : الله ! الأسئلة! مالك أنت ياست . سأرضى فضولك. ( يكظم غيظه ) سأتجاوز بها عتبة الباب ، ثم أزلقها خارج البيت . أما من أسئلة أخرى ؟

زينة : لا يحق لك . أأنت تملكها ؟ دعها لى . أنا أريدها . لا يحق لك أن تتصرف فيها دون إذنى .

جلنار : ( لم تفهم ) أغلقت الشباك وسرقت البيت يامنيل ؟

الشبندر : لص ما فى ذلك شك. سيبيت فى السجن إن شاء الله .

أبو الفضول : كيف أدعها لك ياست . أما قلت لى أرحنى منها ؟

زينة : لا يحق لك أن تأخذها .

الشبندر : نعم. فالزبالة من حق صاحب البيت. فلا يعدم المرء أن يجد بها قطعة دراهم ، أو صرة فيها نفقة ، أو دينار ، أو قطعة حلى كانت ضائعة . .

جلنار : ضاع لى قرط منذ شهر . لعله أن يكون عثر به .

الشبندر : أما ما فيها من الصوف فيطلبه صناع البراذع بالثمن . والخرق وسائر القماش والورق تشتريه معامل الورق . أما قشور الرمان فللصباغين والدباغين . . والزجاج المهشم والقوارير وما إليها فللزجاجين . والمسامير وقطع الحديد للحدادين . . وغير ذلك يصلح للوقود . وما بقى فى النهاية من تراب يضرب منه اللبن الذى يصلح للبناء . وكل شىء بثمنه .

أبو الفضول : إيه . . حيلك يا سيد ! لقد كونت ثروة من زبالة بيت واحد !

زينة : دعها مكانها قلت لك .

أبو الفضول . ( جانبا ) لا أدعه لك تفضحينه . الله ! سيقتلنى أنا . لابد أن أنجيه . يستطيع أن يقتلنى.

زينة : ( جانبا ) أبا الفضول . هذا شاهد سيشهد ما يجرى

بيني وبين الشبندر . دعه لى . ( بصوت مرتفع ) لا حق لك فيما ليس ملكك .

أبو الفضول : الخرج ؟ أليس الخرج ملكى ؟

زينة : دع الخرج هنا . ما قيمته ؟

أبو الفضول : لا أدع الخرج . أنا قتيل الخرج.. الله ! وسع السكة .

( يحاول حمله عبثا )

الشبندر : مكانك . .

زينة : قف .

جلنار : حرامى ! . .

أبو الفضول : الله! الناس جنت فى هذا البيت. (للخادمة) ماذا تريدين أنت؟ (للسيدة) ماذا تريدين؟ (للشبندر) ماذا تريد أنت؟

الشبندر : لا تقترب منى .

زينة : لن أدعك تخرج بحملك. أتسمع. ليس من حقك. وإذا لم تدعن سأصرخ وأدعو الشرطة. لا يضيرنى شىء . .

أبو الفضول : ستقع على دماغى أنا . يا ست اتق الله . خلصتك خلصينى. ( جانبا ) سيكون القتل نصيبى أنا . شاهد إيه ؟ . .

زينة : أدخل المطبخ واصنع شراباً للشبندر . خذيه إلى المطبخ يا جلنار .

الشبندر : نعم . نعم . أدخل إلى المطبخ .

أبوالفضول : أدخل أين ؟ إعطنى حبلا أو أى شيء أرفعه به يابنت.

جلنار : سرق البيت والله .. سرق البيت ونحن لاهون عنه. قلت لك أنه لص . ماذا فى خرجك ؟ دعنى أر . .

أبو الفضول : إبتعدى يا حيزبون . . والله أذبحك بالسكين . إلى الداخل أنت .

جلنار : يا خرابى! ( تجرى الى الغرفة الداخلية وترقب البهو من وراء الستار فى فزع )

أبو الفضول : إعطنى حبلا يا بنت .

الشبندر : ( لأبى الفضول ) يا ولد خلك طيب ، وخلصنا . فما جلسنا مع الست بعد .

زينة : إجعله يبقى يا سيدى . إجعله يبقى . . لعلى أسأت إليه دون أن أدرى ، ولن أرتاح حتىأجبر خاطره .

الشبندر : لا تتأثرى إلى هذا الحد . سأبقيه لك . إسمع ياهذا .

أبو الفضول : أسكت يا ذاك .

الشبندر : سفيه ! اف . لا أطيقه. ماذا أفعل معه؟ خذ درهمين.

أبو الفضول : درهمين ؟! إستأجر بهما قاربا وتنزه فى دجله . الهواء منعش. (يزعق) حبل يا بنت. (يتجه للغرفة الداخلية فتخرج

جلنار فزعة وهو وراءها مازال يصرخ طالبا حبلا )

الشبندر : أريد أن أبقيه لك ، ولو دفعت فى سبيل ذلك مالا. ولكنه ( يتأكد من بعده ) مجرم سليط ، أف ! أى بلية رمته أمامى .

زينة : يقطعنى ! .. أأنا دعوتك لأعكر دمك؟ تعال . إجلس هنا. عصير ليمون يا جلنار .

الشبندر : لا تقلق على . مهنتى علمتنى أن أغضب على مهل وأصفو على عجل . . والحقيقة أنى اليوم أصفى ما أكون إذ ثاب إليك رشدك . إعلمى يا قرة عينى أنى لن أبخل عليك بخادم نشيط، ولو دفعت فى سبيل ذلك مالا . فكم يسرنى أن أصنع شيئا يرضيك .

زينة : أشكر لك كرمك ياسيدى. لقد ضعفت لك، فأرحم ضعفى . . ماذا تفعل سيدة وحيدة فى هـــذا العالم القاسى ! كم كان يطيب لى أن أبادلك جميلا بجميل ، وودا بود . . لولا أنك آلمتنا وأغلظت القول لنا ذلك اليوم .

الشبندر : تظلمينى يا قرة عينى .

زينة : قلت لنفسى : أرسل إليه جلنار ، فلعله أن يكون أصفى نفسا مما كان فى ذلك اليوم .

الشبندر : فطرت مليا دعوتك ، شوقا وحنينا لقربك .

زينة : ولكنك أنت دائماً أنت.. الزائر الجانى والصاحب الظالم.
الشبندر : بودى لو كنت فى قربك مظلوما ، وفى عشقك مجنيا عليه .
زينة : وأنا بودى لو أطمئن لصدق عواطفك وأخلص من شكى وريبتى فيك .
الشبندر : أأنا محل شكك وريبتك ؟
زينة : قلبى يقول لى : يازينة . . إن كان يكذبك فى ألف دينار فكيف تأمنين إليه فى شأن سعادتك ووفائه لك .
الشبندر : آه عدنا لهذه الحكاية .
زينة : كيف أضمن أن أنا واصلتك كما تريد ، وأسلمتك نفسى الساعة ، ألا تنكرنى وتنبذنى بعد يوم ؟
الشبندر : أعطيك عهدا بنفقة .
زينة : عهدا ؟ !
الشبندر : أعطيك الآن بعض المال . .
زينة : هلا نقدتنى مالى عربونا للوفاق ، أو تعهدت لى بردّه فى فرصة قريبة . .
الشبندر : (يتلفت حواليه) احم . . احم (يقترب من الستار) أى مال ياست الناس ؟
زينة : أعلم أنه يشق عليك بعد أن أنكرت أمام التجار

والشهود أن تعود فتعترف بأن لى عندك مالا .
ولكن إجعل خاطرى يستريح، واشهد الله أمامى أن
ترده لى فى فرصة قريبة .

الشبندر : (يبحث حواليه) احم. احم . تزعمين أن لك عندى
ألف دينار ، فهل لك فى عهد أمام الله بخمسة دنانير
نفقة موصولة ، فى ستر ورفق .

زينة : كل ما تعدنى به كوم ، ومالى أنا كوم . اشهد الله
أنك ترده لى .. ثم تنفق علىّ ما تريد، وأتبع رأيك ،
وأكون أطوع لك من يدك .

الشبندر : أبعد أن نحسم هذا الأمر الذى اختلفنا عليه، تقبلين
سكنى قصرى الأخضر الذى وصفت لك فى أطراف
بغداد ؟

زينة : أقبل سكنى بيتك الأخضر فى أطراف بغداد .

الشبندر : وتستقبلينى فيما اتفقنا عليه من أيام الأسبوع ؟

زينة : وأستقبلك فيما قر رأيك عليه من أيام الأسبوع .

الشبندر : ولا تغادرينه إلا بإذنى ؟

زينة : ولا أغادره إلا بإذنك .

الشبندر : ونسهر تلك الأيام معا،نسمر ونغنى ونمرح حتى الصباح؟

زينة : ونسهر تلك الأيام معا،نسمر ونغنى ونمرح حتى الصباح.

(يدخل أبو الفضول من خلال الغرفة الداخلية ومعه حبل)

الشبندر : (ظهره لأبى الفضول) احم احم. أللهم أشهدك أن لزينة عندى ألف دينار هى وديعة زوجها الراحل، أودعها عندى لأردها لزوجته بعد الأجل المحتوم . وأشهدك أنى أردها إليها متى انتقلت معى إلى القصر الأخضر.

زينة : هاها ( تلحق بأبى الفضول وهو يوثق حمله بالحبل ) أنت غاضب يا أبا الفضول ؟ لم أنت غاضب ؟ لقد انتهى الشغل وجعل الله رد حقى لى على يديك، لا تغضب منى .

أبو الفضول : ياست انتهى الشغل . دعينى أذهب لحال سبيلى . ( جانبا للحافظ ) طاوعنى خاننا نخلص . إنقلب هكذا.

الشبندر : ( جانبا ) بينهما أمر . لعله لا يقع على دماغى أنا. يبدو أن الخبيثة تحبه . سأرميه فى بلية .

زينة : أبقتك دموعى فما استطعت أن تذهب منذ ساعة. ألا أستطيع أن أبقيك وأنا فرحة بخلاصى .

أبو الفضول : ( للحافظ ) عدكما كنت. ( ينقلب الخرج ليتيح له ربطه ) أرحنى. ( لزينة ) أتريدين أن أخدمك فى بيته ؟

الشبندر : ( جانبا ) بينهما سر لا جدال . سيشهد على . لا بد أن أرميه فى السجن . سأضع خاتمى فى خرجه وأسلمه للشرطة ، وإلا وجدته تحت فراشنا كل ليلة . ( يخلع الخاتم ويتشبث بالخرج زاعقا) جلنار! ضع حملك

ياخبيث. جلنار! ( تدخل جلنار مهرولة ) إذهبي إلى الطريق ونادى الشرطى هنا . سأعرف خلاصى معك أنا . . أين خاتمى ؟ دخلت بخاتمى والآن لا أجده فى إصبعى .

جلنار : سرق البيت والله. حرامى !

زينة : إخرسى .

الشبندر : إسمعى كلامى يابنت. نادى الشرطى هنا .. أين الخاتم يالص . ( يعبث بفتحة الخرج ثم يصرخ ) آه اقتيل ! القاتل ! ( يهرول الى الشباك يفتحه ) قتيل !

جلنار : ( ماتسمع القاتل حتى يقر فى ذهنها أن أبا الفضول قتل الحافظ ! ومن الشباك الآخر تصرخ بأعلى صوت ) قتل سيدى ! إلحقونى ! القاتل ! ..

الشبندر وجلنار : (معا من الشباكين القاتل! ياداهيتى! إلحقونا! اللص!..

( تطغى صرخاتهما على دقات الطبول المهيبة التى تعلن عن مرور موكب الخليفة تحت الشباك . ثم تتوقف الطبول. هرج )

أبو الفضول : نهاركم أسود جميعا ... أين وقعت ؟

زينة : الخليفة !

( يدخل الخليفة والوزير والقاضى ومسرور وجمهرة من

الخلق أمام الباب يفسحون لهم الطريق . تسبق جلنار الشبندر لتفتح الباب . يدخل الثلاثة الكبار يتبعهم مسرور . جلنار لم تلحظ أن الخليفة نفسه هو المتقدم فتجذبه من يده الى الداخل .. نحو الحلاق )

جلنار : هنا يا شرطي . هذا الرجل . امسك به . سرق قرطي وخاتم السيد ثم قتل ... (تلتفت إليه فتتعرف عليه) آه ! الخليفة ؟ ! ياخرابى ! يا خرابى ! .. (تختبىء خلف ستار الغرفة الداخلية )

الشبندر : مرحبا بسيد الناس . أعف عنى يامولاى . لم ألحظ أن موكبكم العظيم فى الطريق .. ولكن هذا المجرم أفزعنا (مشيرا لأبى الفضول) فطاش صوابنا . ويحمل فى خرجه جثة قتيله المذكور ...

أبو الفضول : الله ! لاقتيل ولاحاجة! تريد أن ترمينى فى مصيبة؟! قتيل إيه يا شيخ ؟

الخليفة : ( يرفع يده طالبا السكوت ) ما هذا الذى يجرى هنا ؟ قف بالباب يا مسرور . لا يتحرك أحدكم . ( يتبين أبا الفضول ) من أرى ؟ أنت ؟ !

أبو الفضول : لست أنا يامولاى ... لست بالضبط ...

الوزير : ( محييا ) سيدى الشبندر . ( لأبى الفضول ) هذا الصعلوك ثانية ؟ !

القاضى : ( محييا ) سيدى الشبندر . ( لأبى الفضول ) فى كل مصيبة نراه ؟ !

الخليفة : ماذا تفعل هنا ؟

أبو الفضول : ماذا أقول ياست ؟ ماذا أقول يا حيزبون ! خرجت من دارى فى أمان الله . ولم أستفتح بعد ...

الخليفة : أجب . ماذا تفعل هنا ؟

القاضى : ماذا يفعل ؟ يسرق أو يقتل أو ينهب ...

الشبندر : ياه ! له سوابق ؟ . .

الخليفة : أ كلما نزلت من قصرى ومشيت فى شوارع بغداد ، تناثرت علىّ الصرخات الثاقبة ... وأدخل لأنظر ، فأجدك أنت سبب المصيبة ؟

أبو الفضول : آه . وقع الفاس فى الراس ! . . جالك كلامى يا ست ؟ .. ( يقلدها ) « تزوجنى يا أبا الفضول . . لا تتركنى الآن ! أنا خائفة ! إحمنى ! أهون عليك ؟ ؟ إجعله يبقى ياسيدى .. » حتى تمت المصائب وجاء ... ( يستدرك ) عفوك يارب . ماذا أقول لمولانا الخليفة ياناس ؟ على رغمى يا مولاى ، على رغمى .

الخليفة : ما هذا الهراء الذى تهذى به ؟

الشبندر : إذا سمح لى مولاى ، وسيدى الوزير ، وسيدى القاضى .. أصف لكم الواقعة .

الخليفة : (غير ملتفت للشبندر) لمن هذا البيت ؟

زينة : هذا بيتى يا مولاى .

الخليفة : لا بأس عليك . تفضلى بالجلوس .

زينة : عفوك يامولاى .

الشبندر : إن أذن لى مولاى ، وسمح سيدى الوزير ، وسيدى القاضى ...

الخليفة : (غير ملتفت إليه) إشرحى لنا هذه الواقعة .

الشبندر : مولاى ...

الخليفة : (ضيقا به) ماذا أيها الشبندر ! ألا ترى أن صاحب البيت أولى بفتح الحديث ؟ ألا ترى أن المرأة أضعف من الرجل؟ فأولى بنا أن نبدأ بسماع حجتها.. إقترب يا وزيرى . إفتح أذنيك جيدا لما تسمع كى تفسره لنا . تفضلى .

زينة : شكرا يامولاى . أرى رسم العدل على جبينك .

الخليفة : قول حسن ، لم يقدر عليه شاعرى المغرور، وصوت يذهب الكدر . هه . هل صرخت علينا ياسيدتى واستغثت بنا من الشباك ؟

زينة : نعم يامولاى. لتنصفنى .

الشبندر : كذابة ! أنا الذى صرخت . (مستدركا) عفوك يامولاى ...

الخليفة : ( ينظر اليه متوعدا ثم يعود ليصغى لزينه ) إذا كان الحق معك مثلما حباك الله من حسن ، فستجدين الانصاف على يدىّ إن شاء الله. تكلمى.

زينة : إننى أشكو لك هذا الشبندر يامولاى . لقد أودع زوجى عنده ألف دينار ومات . وأبلغنى بذلك وهو يحتضر على مسمع من جاريتى . ولما ضاقت بنا الوسائل ، وبعنا الحلى والأشياء الثمينة ، خرجت بنفسى إلى الشبندر فى دكانه وطالبته بوديعة زوجى ، فأنكرها طمعا فىّ...

الخليفة : لعل زوجك يرحمه الله أخطأ وهو فى سكرة الموت ، أو لعلك أخطأت السمع وأنت فى غمرة الحزن . ما رأيك يا قاضى بغداد؟

القاضى : البيِّنة على من ادّعى .

الخليفة : قول سهل . ولكن كيف تكون البينة؟ ذلك رجل أسرّ بالأمر إلى زوجته وهما فى خلوة .

الشبندر : هنا قتيل يامولاى . جريمة قتل .. إذا سمحت لى...

الخليفة : ( يسكته باشارة ) كيف تكون البينة ؟

القاضى : وثيقة صحيحة ، أو شاهدين عدلين .

الخليفة : إجلس للقضاء بينهما إذن .



الوزير : مولاى .

الخليفة : ماذا أيها الوزير ؟

الوزير : ( هامسا ) قبل أن نقضى فى هذه القضية ، يجب أن نتحقق من بضعة أشياء .

الخليفة : أية أشياء ؟

الوزير : هذه الزكيبة ما هى ؟ ما حكاية القتيل ؟ ما سبب وجود هذا الفضولى ؟ أين نقف نحن ؟

الخليفة : ( قلقا ) أتظن أننا وقعنا فى كمين ؟

الوزير : لعل غيرنا وقع فى كمين ، ونحن اتخذنا دون علمنا بعض شباك هذا الكمين .



الخليفة : ما الحكاية ؟ ما هذا الذى تقول ؟

الوزير : دعنى أنظر أين نحن، أولا .

الخليفة : ألسنا فى بعض مملكتى ؟

الوزير : نحن فى مملكة مولانا لا ريب .

الخليفة : أليست هذه الأرض خاضعة لقوانيننا وإجراءات عدالتنا وقضائنا ؟

الوزير : هى كذلك لا شك .

الخليفة : دع العدالة تأخذ مجراها إذن . تفضل يا قاضى بغداد . قضية واضحة . إما البينة أو اليمين . تفضل .

القاضى : ألديك وثيقة صحيحة تثبت هذه الواقعة التى تدعينها على الشبندر ؟

زينة : لا ياسيدى .

القاضى : ألديك شاهدان عدلان ؟

زينة : نعم يا سيدى .

الشبندر : تكذب . أف . .

القاضى : أين هما ؟

زينة : لقد جعلته يُشهد الله منذ برهة على صحة الوديعة أمام شاهدين . أحدهما أبو الفضول ...

القاضى : لا تقبل شهادته . .

أبو الفضول : إجعل العواقب سليمة يا رب .

زينة : ألست كامل الأهلية ؟ ضاع جهدى عبثاً . .

الخليفة : ناقص الأهلية ؟! كان يحمل رخصة منذ أيام .

القاضى : مولاى ليس الأمر كذلك ، ولكن.. مثله ممن يؤجر للشهادة الزور .

الخليفة : لعله لم يؤجر .

القاضى : اعتدت يا مولاى ألا أعوِّل على شهادة معدم .

الخليفة : ماذا ؟ ! أهذا يتفق وشريعة الله ؟

القاضى : أصل الحكاية أن ...

الخليفة : أهذا يتفق وشريعة الله ؟ أجب .

القاضى : عندى يا مولاى أن ...

الخليفة : إذن .. إن أنا أرغمتك على قبول شهادته ، قالوا يتدخل فى القضاء . وإن لم أتدخل ، تصدر حكماً باطلا باسمى أحمل وزره يوم القيامة . تنح . سأجلس أنا للقضاء بينهما فإن سلطتى تخول لى ذلك . أين شاهدك الثانى ؟

زينة : ( تتقدم للخرج ) هذا هو يا مولاى ؟

أبو الفضول : ( لزينه ) لا حق لك . ستنهار الدنيا على دماغى أنا .

زينة : هو شاهدى .

أبو الفضول : بل هو حقى أنا . أنا المتصرف فيه .

زينة : أتمنع شهادة شـــاهد أمام المحكمة ؟ إنك إذن تدخل السجن .

أبو الفضول : ياست . الله ! حرام عليك . عندى سبع عيال .

الخليفة : ما الذى تتنازعانه ؟

زينة :
أبو الفضول : ( معا ) هذا .. الخرج !

الخليفة : هذا شاهد ؟!

زينة : نعم .

الشبندر : هذا هو القتيل . (جانبا) أتكون المرأة أوقعتنى فى كمين ؟

الخليفة : من يكون . ما يكون ؟!

أبو الفضول : ضعت ! سأموت . مت . قتلت . هذا الخرج ملكى يا مولاى . أنا أشحذ به .

الخليفة : شيء عجيب . إما أن تقول لى الحق من فورك أو أرميك فى السجن لا ترى نور الشمس .

أبو الفضول : قولة حق تقتلنى .

زينة : لا تخف . لتأخذ العدالة مجراها ، ومولاى الخليفة يؤمّنك . .

الخليفة : عليك الأمان . تكلم .

أبو الفضول : آه ؟ آه ؟ تـ . . بـ . . سـ . . ( يدور فى الغرفة ) كيف السبيل إلى الخلاص منه بعد ذلك ؟ الخليفة سيقضى فى دقيقة ويمضى . من الذى سيحمينى غدا ؟ بعد غد ؟ العام القادم ؟ أعيش حياتى وسيفه مسلط فوق عنقى . . .

الخليفة : ما هذا الذى تهذى به . خذ . ( يرمى له منديله ) إليك منديل الأمان . لا يؤذيك أحد وهو فى كمك . تكلم .

زينة : أمّنك الخليفة يا أبا الفضول .

القاضى : ( للوزير جانبا ) لعله لا يقتل فى كل يوم قتيلا محتمياً بالمنديل . .

الوزير : ( جانبا ) الأمان لهذا المشاغب ؟!

أبو الفضول : لا تأخذ هذا المنديل منى ثانية . . أبداً ؟

الخليفة : لا آخذه منك أبداً .

أبو الفضول : بربك . وحياة رأسك العالية . وحق إيمانك بالله والعدل . . إعط كل رجل من رعيتك منديلا .

الخليفة : أتعلم كم رجلا فى رعيتى ؟

أبو الفضول : ما يكونون .

الخليفة : إن نصف العالم رعيتى .

أبو الفضول : لكل رجل منديل .

الخليفة : طلب عجيب . ( للوزير ) أأنت تخيف رعيتى ياوزير ؟ أم من ؟ قدم الشاهد يا حلاق .

أبو الفضول : ( يجرجر الخرج تحت قدمى الخليفة بجهد جهيد ) هـذا هو ..

الوزير : مولاى . ألتمس أن تستمع لى .

الخليفة : (جانبا) ما خطبك ؟ ( يولى أذنه للوزير )

الشبندر : ( جانبا للقاضى ) القتيل يشهد ؟! مهزلة !

القاضى : ( جانبا للشبندر ) إطمئن . سترى عنق هذا الحلاق تحت سيف الجلاد .

الوزير : ( جانبا للخليفة ) رجل حبسوه فى الزكيبة ، ويرغمونه على الشهادة .. جريمتان .

الخليفة : (جانبا للوزير ) ما خطبه ؟ وما جعله لا يصرخ حين حضورنا ؟

الوزير : ( جانبا للخليفة ) لسنا ندرى بعد يا مولاى . ولكن أخشى أن يتمخض الأمر عن مهزلة . فهذا الحلاق...

الخليفة : ( يضحك ) سنرى . سنرى . ( لأبى الفضول ) إياك والخديعة. من يكون هذا الشاهد ؟ يجب أن يتقدم للمحكمة سافرا ، ويذكر اسمه وصنعته ومحل إقامته، ويقسم اليمين.. حسب الأصول .

أبو الفضول : الله ! وما أدرانى أنا بالأصول ! ( يلكز الحافظ ) تكلم أنت فأنت أدرى بالأصول. ( سكون )

الشبندر : قتيل يا مولاى كما قلت لكم . كيف يتكلم ؟!

القاضى : قتله الحلاق لا ريب .

زينة : ( جانبا ) أيكون مات ؟ ..

جلنار : ( جانباً من وراء الستار ) يا مصيبتى ! يا مصيبتى ! قتل الرجل ثم سرق البيت .

الخليفة : لا يتكلم . قتيل إذن .

أبو الفضول : ( يلكز الحافظ ) الله . تكلم . ستوقعنا فى مصيبة.

أمين السر : ( فى الزكيبة ) إيه ! أم ! آه ! ...

الخليفة : ما أسمع ؟ أنات احتضار.

أبو الفضول : احتضار إيه يا مولاى . هذا جنى لا يموت .

الخليفة
الشبندر : جنى ؟ !
القاضى

أبو الفضول : ( متورطا ) أقصد .. أريد .. نعم . نعم . هـــذا جنّى من الجن الذين حبسهم سيدنا سليمان لشقاوتهم .

الخليفة : ( بروح طروب ) أنستطيع أن نراه ؟

أبو الفضول : لا لا لا يا مولاى . فقد قضت حكمة النبى سليمان أن يحترق إن مسّته أشعة النهار . ولا يرضيك يا سيد الناس أن يحترق .

القاضى : خدعة !

الشبندر : إبليس !

أبو الفضول : لا إبليس ولا حاجة . هذا جنى طيب .

الخليفة : ( متسليا جدا ) وما اسمه ؟

أبو الفضول : إسمه ... قفة .

الخليفة : قفة ؟

أبو الفضول : لا لا لا .. إسمه . . زكيبة . لا لا .. أظن .. إسمه بقوطى . خرج . آه . خرج بالتأكيد .

الخليفة : ياقاضى . إكشف لنا صحة هذه الصفة ، وإلا فقد وقعت يا حلاق .

القاضى : أيتكلم العربية حتى نخاطبه ؟ ( يقترب منه حذراً )

أبو الفضول : ( هازئا ) يتكلم العربية ؟ إنه ليخطب في المحكمة بأفصح لسان إن أردت .

الخليفة : دعه يتكلم إذن . أين عثرت به ؟

أبو الفضول : هو الذى عثر بى .

القاضى : ( حائرا ومخاطبا الخرج ) أنت إنسى أم جنى ؟ تكلم فأنت فى حمى أمير المؤمنين . لا تخف . هل حبسك أحد ؟ أتريد أن نخرجك ؟

أمين السر : ( فى الخرج ) جنى . جنى . ( القاضى يقفز من المفاجأة والوزير ينصت باهتمام ) لم يحبسنى أحد . إذا أخرجتمونى مت من فورى . بالله لايخرجنى أحد .

زينة : (تتنفس الصعداء) آه ...

أبو الفضول : ( متنفسا الصعداء ) قل لمولاى اسمك ومحل إقامتك واحلف اليمين .

أمين السر : ( فى الخرج ) الخا ... الخرج ، وإقامتى بالخرج . والله العظيم أقول الحق .

الخليفة : ( متسليا جدا ) أشهدت الواقعة التى تدعى بها السيدة على الشبندر ؟

أمين السر : ( فى الخرج ) سمعت الشبندر بأذنى يُشهد الله على أنه مدين بألف دينار للسيدة زينة، واشترط عليها لكى يردها إليها شروطاً هى فى حل من الإستجابة لها، لأنها شروط مجحفة وتتعارض مع الشريعة وقانون البلاد.

الشبندر : خدعة ! هذه جريمة ! فليسفر الشاهد عن وجهه. هل تصح شهادة ملثم لا إسم له فى المحكمة ؟ تكلم يا سيدى القاضى ! بعد إذنك يا مولاى ...

الخليفة : لا بأس عليكما . تكلم يا قاضى . ما قولك فى هذه الشهادة ؟ هل هى صحيحة ؟

القاضى : لا تقبل إلا شهادة حاضر . نخرجه لنرى .

الشبندر : لابد أن نراه .

أمين السر : ( فى الخرج ) بالله عليكم لا تخرجونى . شهادتى لها قيمتها. ترشد ولا تحسم . إختلف فيها الرأى لاستحالة التأكد من صفتى وشخصيتى . ولكن يؤخذ بها على أساس أنها قرينة من قبيل استدلال الكلب على الجانى ، أو استدلال الحمار على الطريق إلى بيته .

الخليفة : ( يضحك ملء صدره) هذا فقيه والله !

الوزير : مولاى . فلننه الموضوع بسرعة ولنرحل .

الخليفة : ( ينزعج ) لم ؟ هل ثمة خطر علينا منه ؟

الوزير : ليس الأمر كذلك . (مشيرا لأبى الفضول): ولكن هذا الشرير ...

أبو الفضول : لم أنت متعجل ياسيدى الوزير . لقد كدنا نفرغ من القضية .

الوزير : لاشأن لك . سأحاسبك أنا حسابا عسيرا على ما فعلت وستجد انتقامى رهيبا .

أبو الفضول : علام ياسيدى الوزير ؟! الله ؟! خيرا تعمل شرا تلقى . يا ست.. أنا كان مالى ومال الشغلانة دى .

الوزير : إبكِ . إبكِ كامرأة . إن فضولك وحيلك الشيطانية فاقت كل حد . وعبثك لم يعد من المحتمل السكوت عليه . سأعرف كيف أؤدبك .

القاضى : ألم أقل ذلك من قبل ؟

الخليفة : مرحى مرحى !.. فى الأمر سر كشفه الوزير ولم نعرفه ... ما هو ؟ ما هو أيها الشيطان ؟ لقد فاقت حيلك كلَّ حد فعلا .. ها ها ها ...

أبو الفضول : أنا يا مولاى ؟ كله علىّ أنا ؟

الخليفة : أترى يا وزير أن الشاهد قد يكون مأجورا ؟ أم نأخذ بشهادته ؟

الوزير : أحكم للسيدة يامولاى وانرحل .

الخليفة : هذا هو السر الذى كشفته أنت من دوننا جميعا .

وإذن .. ففى مملكتى ينكر شبندر التجار على امرأة لا حول لها حقها . وبينما أحكم أنا بالعدل وبالحق فى قصرى .. تنتهك الحقوق فى الشارع ، ولا تأمن امرأة على عرضها ، ولا يأمن رجل على روحه إن يشهد بالحق . ماذا جرى أيها الوزير ؟ ما الذى يجرى هنا فى مملكتى أيها القاضى ؟ والله إن كل ظلم يقع على أضعف الناس فى رعيتى أحمل وزره أنا يوم القيامة . أؤدى فروض دينى كما أمر الله .. فإذا رجال لى فى المغرب ينقضون وضوئى ، وإذا رجال لى فى المشرق يبطلون صلاتى وصيامى بما يرتكبون من مظالم على رعيتى . . باسمى . أيها الشبندر . إعط السيدة ألف دينار .

الشبندر : أمرك يامولاى .

زينة : إئذن لى يامولاى أن أقبّل طرف ثوبك .

الخليفة : لا بأس عليك يا ابنة العرب . (جانبا للوزير ) ولكن .. من يكون فى هذا الخرج ؟

الوزير : ( جانبا للخليفة ) سيرتاع القاضى حين يراه . أرجو أن نأخذه إلى قصر مولاى .

الخليفة : طيب . مسرور . أدع من يحمل الخرج إلى قصرنا .

أبو الفضول : (فزعا) لا لا يامولاى . إنه ملكى .
الخليفة : ليس ملكا لأحد . فالجن كالجبال والأنهار والآثار ملك الدولة .
أبو الفضول : (يدور فى الغرفة منهارا جدا) حسنة للفقير المسكين تنفع فى يوم الدين! (لجلنار) قولى نيابة عنه وعنى: ياخرابى!
الخليفة : إلا أنى أتساءل لا ازال . ما الذى أتى بهذا الحلاق إلى بيتك ياسيدتى الساعة ؟ أتعرفينه من قبل ؟
زينة : أبدا . أتت به الصدفة . وقد استغثت به وألححت عليه وبكيت له حتى رق لى ، وقبل أن يقف لى فى هذه المشكلة .
الخليفة : ألححت عليه؟! إنى أتصور أن يلح عليك هو ليتدخل فيما لا يعنيه .
زينة : أبدا يامولاى . لقد غلبت أحابيله حتى عرضت عليه الزواج منى..
أبو الفضول : آه .. الزواج !
الخليفة : الزواج ؟! بهذا الرجل ؟ !
زينة : وقد أغضبه ذلك منى حيث شعر أنى جرحت مشاعره .
الخليفة : لا لا لا ... سيقدّر موقفك الآن.
أبو الفضول : على أى نحو أقدره ؟

الخليفة : ايهيه ! ماذا كانت تفعل امرأة وحيدة مسكينة فى محلها التغريك بالدفاع عنها ؟ أعذرها .

أبو الفضول : وما عذرها .. لتعبث بى ؟

الخليفة : عذرها .. أنها احتالت هذه الحيلة لتقوّى موقفها بك، وتغريك بالتدخل فى القضية .

أبو الفضول : هذا هو الذنب يا أمير المؤمنين ، فأين هو العذر ؟

الوزير : وأنت ما عذرك إذ تضع رجلا فى زكيبة ، وتصرخ على الخليفة من الشبابيك ، وتدخل بيوت الناس .. مرة بدعوى أنك حمال ، ومرة بدعوى أنك شحاذ ؟

الخليفة : ألا ترى ياوزير قوة عذره ؟ الفضول . الفضول يغلبه على أمره ولا حيلة له فيما جبل عليه من تطفل .

الحلاق : أنا ؟ ! أنا الفضولى ؟ ! .. برضاك أنا الفضولى ؟ ! يا ناس ! ياهوه ! برضاك أنا الفضولى ؟ ! أنا الطفيلى ؟ !

« ستار »

عن المسرحية

تتألف « حلاق بغداد » من حكايتين منفصلتين ، أولاهما حكاية « يوسف وياسمينة » المستوحاة من إحدى قصص ألف ليلة وليلة ومنسوجة على منوالها ، وإن اختلفت عنها فى الظروف والوقائع . والحكاية الثانية « زينة النساء » مستوحاة من إحدى قصص الجاحظ فى كتابه « المحاسن والأضداد » .

ورغم التصرف الواسع الذى أبحته لنفسى فى إنشاء الحكايتين الجديدتين فإنى أؤكد تأثرى النفسى والذهنى بالقصتين الأصليتين . وما قد يجده قارئ القصتين الأصليتين من شبه فى الجو والمزاج بينهما وبين مسرحيتىّ إنما هو دَيْنى لأدبنا القومى العريق . وما قد يجده من اختلاف إنما أعزوه لأسلوبى فى محاولة تطويع هذا التراث الأدبى العظيم لشكل المسرحية الحديث ، وملاءمته لمزاجنا ، ولروح الفكاهة العصرية .

ومهما كان الرأى فى أسلوبى لإعادة صياغة قصتين عظيمتين صياغة حديثة ، فإنى أؤكد صدق محاولتى للاحتفاظ بمـــا تميزت به ألف ليلة وليلة من مزاج خيالى حالم ، ومن غنى وبذخ روحى .. وللاحتفاظ بما تميـز به أدب الجاحظ من فطنة بليغة وذكاء خارق ، وتركيب هندسى بديع ، وروح فكاهة عالية .

كما أنى أدين بأى غنى أو خصوبة فى شخصية أبى الفضول لمؤلف ألف ليلة وليلة العبقرى المجهول . وإن كان فى رسمها من قوة فمرجعها أن صورتها فى ألف ليلة فرضت قوتها على .

## اللغة

سيلحظ القارىء أنى لم أستخدم اللغة الفصحى الصريحة بمقوماتها المعروفة لغة لهذه المسرحية، كما أنى لم أستخدم اللهجة العامية .. وإننى أيضاً لم أزاوج بينهما . وإنما آثرت أن أقف فى موضع ما من الأرض المشتركة بين الحالتين .

وقد حافظت تماما على صحة التراكيب العربية والقاموس الفصيح ، فيما عدا بضع كلمات قليلة . ولكننى مع ذلك استخدمت ما عنّ لى من جوازات الفصحى الكثيرة ، وبخاصة ما كان ينسجم منها مع الأسلوب الذى تميل إليه الصياغة فى اللهجة العامية .

إخترت هذا الأسلوب لحوار مسرحيتي بحيث أتيح للممثل أن يسكِّن أواخر الكلمات فيخيل لنا أنه يتحدث بلغة العامة الطبيعية، أو أن يشكِّل أواخر الكلمات فيحتفظ بمقومات وجرس الفصحى - ما يشاء ... وقد قصدت بذلك إلى أن أدع للممثل حرية التعبير بالنبرة الفصحى أو بالنبرة العامية حسبما تقتضيه المواقف المسرحية أو طبيعة شخصيته ... مع توصيتي له أن يراعي الانسجام والنعومة فيما يراه من انتقالات بين هذا وذاك.

وليس هذا الأسلوب الذي اخترته لحوار المسرحية هو الأسلوب الذي أراه أفضل للمسرح بوجه عام، وإنما هو الأسلوب الذي رأيته أفضل لهذه المسرحية بالذات.

ذلك أني قد صورت بيئة عربية، وأعرف أن مصمم الديكور والملابس.. كما أن المخرج والممثل سيستخدمون الوحدات التشكيلية والزخارف والمؤثرات العربية المختلفة إطاراً لهذه البيئة .. فلا مفر لي من استخدام اللغة التي تنسجم مع كل هـــذه المؤثرات العربية - وهي الفصحى.

ولأن طبيعة مسرحيتي تفسح مجالا لكل هؤلاء الفنانين لتطويع مؤثراتهم العربية للأسلوب العصري، ولأسلوب الحواديت الشعبية .. فقد هيأت لهم الحوار الذي يسهل تطويعه على هذا المنوال.

إن لغة هذه المسرحية هي الفصحى، وإن اقتبست من اللهجة

العامية ما لا يخرج عن جوازات الفصحى السمحة - بشكل عام . وهى اللغة التى أراها تستلهم وتنسجم مع أسلوب الملاحم والقصص الشعبية القديمة ، وتوافق مزاج عصرنا هذا .

## فى الفانتازى

ذكرت فى الارشادات المسرحية للحكاية الأولى أن زمن المسرحية هو القرن الخامس أو السادس الهجرى أو ما تشاء .

فإن هذه المسرحية لا أصل لها فى التاريخ، ولا تلتزم بتحقيق التاريخ. وإنما هى تستلهم الجو التاريخى بشكل عام، كإطار وزينة لما يدور فيها من حوادث خيالية ومواقف تجترىء على المعقول والمألوف ، وتجرى على نسق ما تجرى عليه الحواديت الخيالية ، بما فيها من أحلام وتهاويم براقة، وحلاوة سرد، وتجاوز للمعقول وبساطة فى البناء!.. تجدها فى روح ألف ليلة وليلة ، وفى فكاهات الجاحظ ونقداته وكاريكاتيره الشعبى .

ومن بين هذه المقومات كلها أضرب مثلا بما عمدت إليه من تسمية الحلاق بصفته «أبو الفضول»، وتسمية زينة النساء وياسمينة على نفس المنوال ، وتقديم الخليفة والوزير والقاضى بوظائفهم لا بأسمائهم، للايحاء بأنهم جميعاً شخصيات خيالية مما يصنعه الخيال الشعبى .

وقد عمدت فوق ذلك للحفاظ على الصورة الغالبة فى الحواديت الشعبية لما قدمت من شخصيات ، كالخليفة العادل السمح ذى الروح الطروب ، والوزير الصارم الذكى المستبد ، والموظف الوصولى ، والتاجر البخيل . . وعلاقة العشق المثيرة للاحلام والأحزان ، وابن الشعب الحاذق طيب القلب ..

هذه صورة متواترة فى صندوق الدنيا وخيال الظل والأراجوز والحواديت ، كما فى ألف ليلة . . قوية بعراقتها وبساطتها ، وبجمال الخيال فيها ، نسجت على منوالها حكايتى هذه المسرحية التى اعتبرها بذلك أقرب لأسلوب الفانتازى الشاعرى الخيالى منها لأى شىء آخر .

## فوق منصة المسرح

قدمت الفرقة القومية « حلاق بغداد » فى ١٦ يناير ١٩٦٤ بإخراج فاروق الدمرداش وديكور أحمد إبراهيم وموسيقى بليغ حمدى . وقام بتمثيل شخصياتها حسب ترتيب ظهورهم على المسرح الفنانون :

| | |
|---|---|
| عبد الرحمن أبو زهرة | يوسف |
| ملك الجمل | شفيقة |
| عبد المنعم ابراهيم | أبو الفضول |
| نجوى السيد | ياسمينة |
| ابراهيم الشامى | الخليفة |
| عادل المهيلمى | الوزير |
| مرسى الحطاب | القاضى |
| عاطف طموم | مسرور |
| سلوى محمود | زينة |
| فتحية عبد الغنى | جلنار |
| سامى طموم | أمين سر المحكمة |
| شفيق نور الدين | شبندر التجار |

وصممت الرقصات وأدتها الفنانة نيللى مظلوم وفرقتها .



الثمن ٢٠ قرشا



طبع الغلاف بدار الهنا للطباعة
ت : ٧١٣٢٧